

رضاعة النبي i محمد بن عمر الواقي (ت ٢٠٧هـ)

دراسة وتحقيق
الاستاذ المتمرس الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
الجامعة الإسلامية - النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد:

فقد شاء الله تعالى أن تكون محبة نبيه - i - مقرونة بمحبته جل شأنه في مواطن كثيرة، وهذه المحبة امتثال لأوامره كما نطق بذلك القرآن الكريم في قوله عز وجل: [النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم] الأحزاب ٦، وفي قوله سبحانه وتعالى: علي لسان النبي الأكرم - i - [قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم] آل عمران ٣١، ومن هنا تفانى المسلمون في حب النبي - i - في العصور المختلفة، فأحبوه - i - في حياته، وبعد انتقاله إلى جوار الله تعالى، وظل يعيش بينهم بدينه وبسيرته، فصار حبه لا يعرف الفرق بين الأزمان، وإنما هو ثابت في النفوس ينتقل من جيل إلى جيل برسوخ يستمد ثباته من اليقين الصادق، لأن هذا الحب يجسد القرب الواقعي من الله تعالى.

وهكذا كان شأن الصحابة الكرام في حياته - i -، وشأن المسلمين كذلك، وعودة إلى كتب السيرة النبوية وكتب التاريخ وكتب الأدب وغيرها ثرينا ضروباً مشرقة من تلك المحبة التي تمنح المحب شرفاً وعزاً في الدنيا والآخرة.

وقد أفصح المسلمون عن تلك المؤدة في المنثور والمنظوم من كلامهم على السواء، إذ جسّدوا وجوب الطاعة والتعظيم والتوقير والصلاة والتسليم عليه - i -، واستقصوا كل شاردة وواردة في حياته المباركة من تاريخ مولده إلى انتقاله إلى المألى الأعلى، فصار ما ألف في السيرة والشمائل عنواناً بارزاً في المعرفة الإسلامية في العصور كلها.

واستناداً إلى ما تقدّم يأتي تحقيقنا لمخطوطة (رضاعة النبي - i -) التي تورّخ للحقبة الأولى من حياة النبي - i -، والتي جاءت مزيجاً فنياً بين الأدب والتاريخ، فهي تاريخٌ بثوب من أدب، وإن شئنا فهي أدبٌ بثوب من تاريخ. وهذا الضرب من التأليف كان مألوفاً في الثقافة العربية، إذ كثيراً ما كانت العلوم تتداخل وتمتزج لسيوع الثقافة الموسوعية في تلك العصور.

وبناءً على ما مرّ، يأتي تحقيق هذا الكتاب ليُشكّل فيما نعتقد إضافةً فنيّةً ومعرفيّةً وفكريّةً لما انطوى عليه من توثيقٍ فنيّ وتاريخيّ لرضاعة النبي - i -.

ويجدُر بي أن أشير هنا إلى بعض الصعوبات التي واجهتني في إخراج نصّ الكتاب هذا، وتتمثّل في عدم فصل الشارح بين قوله وبين ما ينقله عن بعض المصادر مما استوجب أناةً وتمهلاً وتدقيقاً وتمحيصاً من أجل تخريج النصّ المقتبس ونسبته إلى صاحبه أو على من نقل عنه.

وفي ختام هذه المقدّمة أطمح أن تأخذ هذه الرسالة المكان الذي يليقُ بها لأنّها تستمدُّ مكانتها من كُتبت عنه (النبي i)، وهذا ما يجعلُ الجهد الذي بُذل في تحقيقها إن شاء الله شفيعاً للمؤلف، والقارئ، ويأمل المحقّق أن تتأله نعمةً منه.

وأخزُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التمهيد:-

الرجل:

هو أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد الواقديّ المدني، مولى بني سهم، وهم/ أحد بطون أسلم^(١)، ولد في المدينة سنة (١٢٩هـ)^(٢)، وقيل (١٣٠هـ)^(٣) في آخر خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أن أمّه هي بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاتر، التي كان والدها فارسياً^(٤)، وله أخ اسمه (شملة)^(٥)، ولم تذكر المصادر شيئاً عن نشأته الأولى، والراجح أنه سعى في طلب العلم واجتهد فيه وهو في سنّ مبكرة. وظلّ في المدينة مشغولاً بطلب العلم والتدرّج فيه حتى بلغ فيه مرتبةً أتاحت له أن يأخذ أسطوانةً في مسجد المدينة يدرّسُ طلبه العلم عندها، فقد روي عن المسيبيّ أنه قال: ((رأينا الواقديّ يوماً جالساً إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرّس، فقلنا له: أي شيء تدرّس؟ فقال: جزء من المغازي))^(٦).

وأثر الواقديّ الهجرة من دار الهجرة لصانقةً ماليّةً وقع فيها، فقد روى الخطيب البغداديّ عنه أنه قال عن ذلك: ((كنتُ حنّاطاً (بائع حنطة) بالمدينة، في يدي مائة ألف درهم للناس أضرارٌ بها، فتلفت الدراهم، فشخصتُ إلى العراق، فقصدت يحيى بن خالد....))^(٧)، وكما يظهر من الرواية فالواقدي كان مهموماً بالوصول إلى يحيى البرمكي لذيوع صيته في مكانته في الخلافة، يؤيّد هذا ما أورده ابن سعد في طبقاته عن الواقدي حيث قال: ((إنّ الدهر أعضنا، فقالت لي أمّ عبد الله: يا أبا عبد الله، ما قعودك

وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك أن تسيرَ إليه حيث استقرت به الدار، فرحلتُ من المدينة))^(٨). وعند وصوله إلى بغداد، وجدَ الخلافةَ انتقلتُ إلى الرِّقَّةِ بالشَّامِ، فخرج إلى الشَّامِ والرِّقَّةِ، ولم يطل به المقام هناك فعاد إلى بغداد في سنة ثمانين ومائة، إلى أن قَدِمَ المأمون من خراسان سنة أربع ومائتين إلى مدينة السلام فوجه إلى الحَسَنِ بِنِ سَهْلٍ أن يشخص إليه مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الواقدي فأشخصه فاستقضاه على الجانب الشرقي وأكرمه، وأمره أن يصلي الجمعة بالناس في مسجد الرصافة^(٩)، فولاه القضاء بعسكر المهدي، فلم يزل قاضياً حتى مات^(١٠).

وفاته:

مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَضِيًّا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بِبَغْدَادَ^(١١)، ليلة الثلاثاء، وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي^(١٢)، ودُفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ فِي مَقَابِرِ الْخَيْرَانِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً^(١٣).

صفاته:

عُرِفَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ تَمَسُّكُهُ بِالْقِيمِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَصِيلَةِ وَبِالْأَخْصِ قِيَمَةِ الْكُرْمِ، فَقَدْ عُرِفَ بِإِنْفَاقِهِ لِلْمَالِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ، وَقَدْ حَفِظْتُ لَنَا الْمَصَادِرُ الْقَدِيمَةُ رَوَايَاتٍ كَثِيرَةً تَجَسَّدُ مَظَاهِرَ كَرَمِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مِصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ مِنْ أَنَّهُ كَلَّمَ الْوَاقِدِيَّ فِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يُوَكِّلُهُ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ مِمَّا يَكُونُ فِيهِ رِزْقٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِصِرَّةٍ فِيهَا مَائَتَا دِرْهَمٍ، فَقُلْتُ لِيَتَنِي وَاللَّهِ مَا كَلَّمْتَهُ فِيهِ، ثُمَّ لَقِيْتُهُ فَقُلْتُ: الرَّجُلُ الَّذِي كَلَّمْتَهُ فِيهِ لَمْ أَكَلِّمْكَ أَنْ تَصَلِّهِ، وَإِنَّمَا كَلَّمْتَهُ أَنْ تُوَكِّلَهُ. فَقَالَ: فَأَيُّ شَيْءٍ يَنْفِقُ إِلَيَّ أَنْ أُوَكِّلَهُ^(١٤). وَهُوَ يُنْفِقُ بِهَذَا السَّخَاءِ لِإِيْمَانِهِ بِالْخَلْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ رَوَى تَلْمِيذُهُ وَكَاتِبُهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ حَيْثُ قَالَ: رَأَيْتُ الْوَاقِدِيَّ مَهْمُومًا فَقَالَ لِي: لَا تَغْتَمُ فَإِنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ^(١٥).

علمه وكتبه:

لَعَلَّنَا لَا نَغَالِي إِذَا قُلْنَا: لَا يَوْجَدُ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَغَازِي وَالسِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يَخْلُو مِنْ ذِكْرِ الْوَاقِدِيِّ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَوْ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ أَخْبَارِيًّا جَامِعًا، أَلْفَ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ فِي مَوْضُوعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ النَّدِيمِ: أَنَّهُ خَلَّفَ بَعْدَ وَفَاتِهِ سِتْمَانَةَ قَمَطَرٍ كُتُبًا، وَكُلَّ قَمَطَرٍ مِنْهَا جِمْلٌ رَجُلَيْنِ، وَكَانَ لَهُ غُلَامَانِ مَمْلُوكَانِ يَكْتَبَانِ لَهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَبَّلَ ذَلِكَ بِيَعٍ لَهُ كَتَبَ بِأَلْفِي دِينَارٍ^(١٦).

وِثْمَةٌ شَاهِدٌ آخَرَ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ، فَقَدْ جَاءَ فِي عَيُونِ الْأَثَرِ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا أَدْرِكْتُ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَاءِ الشُّهَدَاءِ، وَلَا مَوْلَى لَهُمْ إِلَّا سَأَلْتُهُ: هَلْ سَمِعْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ يَخْبِرُكَ عَنْ مَشْهَدِهِ وَأَيْنَ قُتِلَ؟ فَإِذَا أَعْلَمْنِي مَضِيَّتْ إِلَى الْمَوْضِعِ فَأَعَايَنَهُ... وَمَا عَلِمْتُ غَزَاةً إِلَّا مَضِيَّتْ إِلَى الْمَوْضِعِ حَتَّى أَعَايَنَهُ))^(١٧).

وقد أكسبته هذه الدقة الواقدي شهرةً وحظوةً عند الناس، ويُمكننا أن نستدلَّ على ذلك ممَّا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ، وَيَحْيَى بْنَ خَالِدِ الْبُرْمَكِيِّ طَلَبَا مِنْ يَدْلُهُمَا عَلَى قُبُورِ

الشهداء والمشاهد في زيارتهما للمدينة في حجّهما، فدلوهما على الواقدي الذي صحبهما في زيارتهما، ولم يدع موضعاً من المواضع ولا مشهداً من المشاهد التي كان لها أثر في أيام الإسلام إلا مرّ بهما عليه^(١٨). وقد ترك لنا الواقدي تراثاً ثراً من الكتب والرسائل، ومن ذلك على وفق ما أورده ابن النديم ما يأتي^(١٩):

١. كتاب المغازي.
٢. أخبار مكة.
٣. الطبقات.
٤. فتوح الشام.
٥. فتوح العراق.
٦. الجمل.
٧. صفين.
٨. الردة والدار.
٩. وفاة النبي.
١٠. مولد الحسن والحسين.
١١. مقتل الحسين.
١٢. ضرب الدنانير والدرهم.
١٣. كتاب الحرّة.
١٤. كتاب الصوائف.
١٥. المبعث.
١٦. أخبار مكة.
١٧. الطبقات.
١٨. فتوح الشام.
١٩. فتوح العراق.
٢٠. الجمل.
٢١. السيرة.
٢٢. أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.
٢٣. الردة والدار.

٢٤. وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
٢٥. أمر الحبشة والفيل.
٢٦. المناجح.
٢٧. السقيفة.
٢٨. بيعة أبي بكر.
٢٩. القرآن.
٣٠. سيرة أبي بكر ووفاته.
٣١. مداعي قریش والأنصار في القطائع.
٣٢. وضع عمر الدواوين.
٣٣. تصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها.
٣٤. الترغيب في علم القرآن.
٣٥. غلط الرجال.
٣٦. تاريخ الفقهاء.
٣٧. الأداب.
٣٨. التاريخ الكبير.
٣٩. غلط الحديث.
٤٠. السنة والجماعة.
٤١. ذم الهوى. ترك الخوارج. في الفتن.
٤٢. الاختلاف. ويحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في بعض قضايا الفقه. وهذا الكم من الآثار يُجسّدُ الخزيّنَ الكبيرَ من ضروب المعرفة التي يمتلكها الواقديّ، وهذا ما أقرّ به من عاصره ومن جاء بعده.

نسختا المخطوطة:

لم نَقف على أكثر من نسختين لمخطوطة الكتاب في فهرس المخطوطات التي وصلنا إليها، والنسختان هما:

أولاً: مخطوطة المكتبة الأزهرية / القاهرة، محفوظة برقم ١٠١٣ مجاميع ٣٢٨٠٣، وهي لمؤلف مجهول، ولا توجد عليها أية إشارة إلى ناسخ أو

تملّك أو تعليق يمكن أن يُستدلّ من خلاله عليها.

ثانياً: نسخة مؤسسة كاشف الغطاء في النجف الأشرف، وهي نسخة مكتوبة بخط واضح، عدد صفحاتها (٤٧)، وفي الصفحة ثلاثة عشر سطرأ.

وقد اعتمدنا على نسخة مؤسسة كاشف الغطاء وجعلناها الأصل لاكتمالها ووضوح خطها وسلامة كلماتها من الطمس والخرم، ممّا وفر لنا اطمئناناً وثبتاً ونحن نشرع بالتحقيق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وُلِدَ الْحَبِيبُ وَخَدُّهُ مَوْرِدٌ هـ وَالتَّورُ مِنْ وَجَنَاتِهِ يَتَوَقَّدُ هـ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا كَانَ النَّقَاهُ كَلَا وَلَا ذِكْرُ الْحَيَا وَالْمَهْدُ هـ
جَبْرِيْلُ نَادَى فِي مَنْصَةِ حُسَيْنِهِ هـ هَذَا مَلِيحُ الْكُوْنِ هَذَا أَخِي هـ
هَذَا كَيْلُ الطَّرْفِ هَذَا الْمُصْطَفَى هـ هَذَا جَيْلُ الْوَجْهِ هَذَا الْأَوْخُدُ هـ
هَذَا جَيْلُ النَّفْتِ هَذَا الْمُرْتَضَى هـ هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ هَذَا السَّيِّدُ هـ
هَذَا الَّذِي خُلِعَتْ عَلَيْهِ مَلَابِسٌ هـ وَنَفَاسٌ فَنظِيرُهُ لَا يُوْحَدُ هـ
قَالَتْ مَلَأْتُهُ السَّمَاءَ بِأَسْرِهِا هـ وَوُلِدَ الْحَبِيبُ وَمِثْلُهُ لَا يُوْلَدُ هـ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا ذُكِرَتْ قَبْلَهُ هـ كَلَا وَلَا كَانَ الْمُحْصَبُ يَقْصَدُ هـ

٢٣٥

يَا حَلِيمَةَ فَقَالَتْ لَهُ إِنْ سَيِّدَ الْحَرَمِ عَبْدُ الطَّلِبِ سَأَلْتَهُ
الرِّضَاعَ فَذَكَّرَنِي إِنْ عِنْدَهُ مَوْلُودٌ حَسَنٌ جَيْلُ الصُّورَةِ
إِلَّا أَنَّهُ يَتِيمٌ لِأَبٍ لَهُ فَلَمْ أَخْذُهُ خَوْفًا مِنْكَ وَمِنْ
مَلَأْتِكَ فَأَنْتِ قَائِلٌ فَقَالَ لَهَا بَعْلُهَا وَيَحْكِي
يَا حَلِيمَةُ مَا تَفْعَلِينَ بِالتَّيْمِ وَأَمَّا رَبُّدُ زَيْدُ مِنْ أَبِيهِ

صورة الصفحة الثالثة والعشرين

٣٦

قَالَتْ حَلِيمَةٌ فَذُهَيْشَتْ بِهِ وَمِنْ كَلَامِهِ فَقُلْتُ لَهُ مَا رُبِدُ
قَالَ أَرِيدُ أَنْ أَلُونَ مَعَ إِخْوَتِي فِي الرَّعْيِ وَأُشَارِكُهُمْ فِي الشَّدَةِ
وَالرَّخَاءِ فَقُلْتُ لَهُ حُبًّا وَكِرَامَةً فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدْرِ دَهْنَتُهُ
وَكَلْبَتُهُ وَأَعْطَيْتُهُ عَصَاةً وَمَزُودًا وَخَرَجَ مَعِ إِخْوَتِهِ إِلَى الرَّعْيِ
وَهُوَ كَالشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ فِي الْبُرُوجِ وَلِسَانُ كَلْبٍ يَقُولُ شَعْرًا
بِأَغْنَامِهِ سَارَ الْحَيْبُ إِلَى الرَّعْيِ كَمَا جَاءَ الرَّاعِي فَوَادِي لَهُ بِرَعْيِهِ
فَلَمَّ أَرِحْلًا مِنْ شَمَائِلِهِ وَقَدَّه تَقَدَّمَ لِلرَّعْيِ حَبِيبِي عَدَايَرُوعِي
جَهْلٌ عَلَى مَعْنَى الْحَاسِنِ وَجَهْلُهُ كَمَا كَانَتْ بَدْرًا لَيْتَمَ قَدْ طُبِعَتْ طَبْعِي
مَلِيحٌ مِنْهُ أَلْوَجُهُ شَمْسُ الضُّحَى عَدَّتْ لَهُ غُرَّةٌ وَاللَّيْلُ عَادِلُهُ فَرَعِي
أَقُولُ لَهُ مَدْسَارٌ بِالسَّحْرِ مَا شِئًا كَمَا وَأَغْنَامُهُ مِنْ حَوْلِهِ يَطْلُبُ الرَّعْيُ
عِيونَكَ يَا رَاعِي الْهِيَاقُوتُ بِنَا كَمَا فَقَوْمٌ بِمِثْقَالِي وَقَوْمٌ بِمِثْقَالِي
وَلَوْلَاكَ مَا سَارَتْ بِنَاقُ بَطِيئَةٍ كَمَا وَلَا كَانَتْ الْأَمْلَاكُ مَحْوَالَةً سَمِيَّاهُ

صورة الصفحة السادسة والثلاثين

وَأَسْمُهُ بَيْنَ أَعْدَائِهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ لِأَمَانَتِهِ مَلَمٌ وَفِي
النَّسَبِ كَانَ إِذَا زُرْتَهُ خَلَعَ رِدَائَهُ وَبَسَطَهُ مَحَبًى وَلَمْ يَزَلْ
أَزُورُهُ وَيَزُورُنِي حَتَّى كَلَّمْتُهُ ثَلَاثَةَ وَسِتُونَ سَنَةً ثُمَّ
تَوَفَّى اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ وَأَنْشَدَ فِي الْمَعْنَى يَقُولُ شُعْبَةُ
فِي كُلِّ عَامٍ لَنَا فِي سَيِّدِ الْبَشَرِ إِبْرَاهِيمَ قُرَيْشٍ بِالْخَيْرِ وَالْفَقْرَاءِ
هَذَا يَتِيمٌ فَقِيرٌ زَانَهُ شَرَفٌ مِنْ لِحْلِهِ لَكُمْ الْإِيْتَامُ وَالْفَقْرَاءُ
هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي لَمْ يَلْجَأْ لِنُورِ لَجْلَابَتِهِ ، لَمْ يَجْأِ إِلَى اللَّهِ لِأَجْنَابٍ وَلَا بَشَرٍ ،
يَا مَنْ تَشَرَّفَتِ الدُّنْيَا بِطَلْعَتِهِ ، كَمَا تَأْتِي شَرْجَةُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ ،
هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ زَارْتَهُ تَبَّتْ ، نَالَ الصَّنَا وَالْمَنَا وَالسُّوْلَ وَالْوَصْرَ ،
عَلَيْ عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَالِمَ الْهُدَى ، مَا حَسَبْتَ التُّرْبُ إِلَى وَادِي الْقُرْآنِ ،
وَأَعْلَمُ يَا أَمِي أَنْ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْضِلُ عَنْكَ الرِّقَابَ
وَهَذَا مَا رَأَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ رِضَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

رضاعة النبي i - محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ) (١٩)

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مؤسسة كاشف الغطاء

منهج المؤلف:

يمكننا أن نجمالَ منهجَ المؤلفِ وما اتَّبعه في بسطِ المعلوماتِ التي أوردها فيما يأتي:

أولاً: اتَّبع أسلوباً أدبياً في كتابه، إذ ابتعد عن لغةِ العلمِ التي يكتبُ بها المؤرِّخونَ كتبهم، وجاء بالرواياتِ التاريخيّة بعد أن ألبسها رداءً من الأدب، فجاءتِ الرسالةُ تاريخاً لرواياتِ السيرةِ النبويّة التي تخصُّ رضاعةَ النبي - i - متوشحةً بوشاحٍ من لغةٍ أدبيّةٍ أكسبتها جمالاً أبعدُها عن دائرةِ لغةِ العلمِ وتحوّل بها إلى لغةٍ أهلِ الأدبِ والشعر، وهذا نمطٌ من التاريخِ ورواياته مكتوبٌ بأسلوبٍ أدبيّ.

وقد انتفع المؤلفُ من خلالِ هذا الأسلوبِ بزيادةِ جمالِ المشاهدِ في سنتي الرضاغة، فمثلاً تمكّن من تحويلِ صورةِ البؤسِ والشقاءِ التي كانتُ عليها حليلةُ السعديةِ إلى صورةٍ مشرقةٍ بالخيرِ الذي جلبه الرضيعُ الصغيرُ - i - . فقد ولدت ابنها ضمرة وهي تتلوى من الجوعِ والألمِ وليس في ثديها من اللبنِ شيئاً... ثم تحول الحال ببركتها، فقالت: (لقد انتبهتُ من النومِ وأنا لا أقدرُ على حملِ ثدياي، وقد كُسيْتُ حسناً وجمالاً)، وهذه المفارقةُ الجماليةُ تجسّدُ جمالَ الأسلوبِ الأدبي الذي نحن بصددِهِ، وتُعطينا تصوّراً للتجربةِ الفريدةِ التي عاشتُ فصولها حليلةُ السعدية. وبهذا وضع لنا محمد بن عمر الواقدي أسساً متيناً لصياغةِ التاريخِ بأسلوبٍ أدبيٍّ من خلالِ مقدرتهِ على إعادةِ صياغةِ حوادثِ السيرةِ النبويّة من خلالِ مشاعره من دون أن يجورَ على النصوصِ.

وهنا لا بدّ من الإشارةِ إلى أن كتبَ السيرةِ والتاريخِ كسيرةِ ابن هشامٍ وتاريخِ الطبريّ وغيرها كُتبت بلغةٍ عاليةٍ هي أقربُ إلى الأدبِ من لغةِ العلم، فصارتُ أساليبهم أساليبَ راقيةٍ تماماً ويأتي الأدبُ فيها تلقائياً.

ومن هنا صار نصُّ الكتابِ أدبياً بألفاظهِ اللغويةِ المتماسكةِ بما حملته من حوادثِ تاريخيةٍ مغلّفةٍ بقيمِ فنيّةٍ.

ثانياً: جعل المؤلفُ الشعرَ وسيلةً من وسائلِ الأسلوبِ الأدبيّ الذي أشرنا إليه قبل هُنَيْهة، إذ ورد في الرسالةِ (١٤٤) بيتاً، جاءت متسلسلةً مع أحداثِ الرضاغة، وجعل لها عنواناً هكذا (شعر) ثم يوردُ القصائدَ أو المقطعاتِ على وفقِ الجزئيّةِ التي استوقفته في مشاهدِ أجزاءِ القصّة، والشعرُ من إبداعِهِ هو، وهذه فضيلةٌ من فضائلِ الأسلوبِ الأدبيّ المشار إليه. فضلاً عن أن القصائدَ والمقطعاتِ تشكّلُ ديوانِ شعرِ فصولِ رضاعةِ النبي - i - ، لم نقف على نمطٍ يُشبهه فيما وثقنا عليه من المصادرِ.

ولابأس من أن نشيرَ إلى أن الواقديَّ استطاعَ من خلال الشعر أن يمزجَ بين التاريخ والإحساس، فجاء شعرُه مزيجاً من الشعر الغنائي والقصي من دون أن يغلبَ لونٌ على لون، ومهما يكن من أمرٍ فلا يمكننا أن نقيس الشعرَ الواردَ في الرسالة بمقياس نقديّ ينظر إلى الغنائية دون القصصية أو العكس، ولكنه إلى أهل الأدب أقرب.

وقد يُقال هنا إنَّ ما جاء من شعرٍ هو أقربُ إلى النظم منه إلى الشعر، فهذا صحيحٌ، ولكنه لا يقدح كثيراً به، لأننا تلمسنا به ضرباً جالياً كما تبين لنا، فضلاً عن إحساس الواقدي الصادق فيه.

بقي أمر آخر يتعلّق بالاستعانة بالشعر عامةً، وهو إنَّ الواقدي لم يشأ أن يستشهدَ بشعر غيره في رسالته، وإنما مكنته قدرته الأدبية من الاكتفاء بما نظمه هو من شعر، ولو أراد لأمدّه التراثُ به.

بيد أن أمراً ينبغي أن نُشير إليه وهو أنه (أي المؤلف) وضع أشعاراً على لسان أمنة بنت وهب، وأخرى على لسان هاتفٍ من الجنّ ليسبغ ضرباً من الواقعية على مشاهد قصة الرضاعة. ووضع أيضاً أشعاراً على لسان الجماد والحيوانات بما يتناغم مع السرد القصصي الذي تجلّبت به الرسالة، وهذا يكشف عن تمكّنه وامتلاكه لأدوات فنّه التاريخي والأدبي على السواء.

ثالثاً: مال المؤلفُ إلى السرد القصصي في بسط الروايات وربطها ببعضها، فحرّك الشخصيات على وفق ما يريدُ منها أن تؤدّيه في شدّ الحوادث إلى بعضها، وأجرى بينها ضرباً من الحوار بطريقة عرضٍ تستحضر الحوادث من أن يتدخّل هو بالرواية، وهو في هذا كلّه لا يخرج عن الواقع الذي وصل إليه من الروايات.

إنّ تقنيّة السرد التي اتّبعها المؤلفُ أتاحت له أن يُقيم الحوار الذي أشرنا إليه بين الشخصيات التاريخية التي اشتركت في رسم أحداثِ رضاعة النبي - i -، مثل أمنة بنت وهب - رضي الله عنها - وعبد المطلب بن هاشم، وحليمة السعدية والراهب...، وهذا متنّ الحوادث، وجعل المتلقّي يستجيب للشخصيات وينغمرُ معها في تسيير حوادث الرضاعة.

واستناداً إلى هذا وضعنا بحقّ أمام مشاهد تصويرية تلاحقت تباعاً، فحقّق بذلك ضرباً من التوحّد بينه وبين المتلقّي وأعانه في ذلك كلّ ما أسبغناه على الحوادث من ثمرات اللغة الأدبية التي كتب بها الرسالة.

ونُشيرُ هنا إلى أننا لم نجعل من التقنيات السردية التي وضعها المختصون ركيزةً لنا ونحن ننظرُ في أسلوب الرسالة، وإنما نظرنا إليها بوصفها وسيلةً من وسائل المؤلف لبسطِ حوادثِ رضاعة النبي - i -.

رابعاً: على الرغم من أن الروايات التاريخية تحملُ نمطاً قصصياً، وفضاءً درامياً تتحرّك الحوادث فيه، فإنّ المؤلفَ أرادَ أن يُطوّرَ الحادثة (رضاعة النبي -

i) ليرتقي بها إلى أقصوبة من خلال أمرين، الأول: لغة الرسالة، والثاني الاتكاء على الشعر، وهذان الأمران امتزجا مع بعضهما ومع أركان السرد الأخرى، فجاءت الرسالة بهذا الإطار الأدبي.

ففيما يخص اللغة، أثر المؤلف أن يبتعد عن اللغة التقريبيّة ويميل إلى لغة مجازية تتسق مع ما يريده منها، وأظهر ما تُريد الإشارة إليه هو غلبة (السجع) على لغته في كثير من المواطن، فأسبغ عليها بذلك قيمةً نغميةً حققت له جمالاً أحياناً، على الرغم من أن التكلّف فيما نعتقد شكّل ظاهرة في مواطن كثيرة من الرسالة، فمن مواطن جمال السجع قوله على لسان أمنة تكلم النبي - i - الذي أراد الخروج مع إخوته إلى المرعى: ((أنا أقعد في الظلال وأشرب الماء الزلال، وأخوتي في السمائم^(٢٠)) وحرّ الهواجر^(٢١))، فقلت له: يا بُنيّ إن إخوانك تربوا في الشقا والجبال وأنت تربيت بالرّفاهة والدلال، وأيضاً يا ولدي إني أخاف عليك من الحواسد والعيون الرّواصد، فقال: بالله عليك^(٢٢) يا أمّاه اصرفي عنك^(٢٣) اللوم))، فهو هنا لم يكن طويل النفس في السجع، وإنما اقتصر على حرف (اللام) في كلمتي (الظلال والزلال) وفي كلمتي (الجبال والدلال)، واقتصر على حرف الدال في كلمتي (الحواسد) و(الرّواصد). والملاحظ هنا أنه لا يُطيل في فواصل السجع، ولعلّه وجد في تلوين حروف السجع ما يمتن الإيقاع في نصّه النثري.

خامساً: استعمل المؤلف لغة (أكلوني البراغيث)^(٢٤) في بعض المواطن من الرسالة، وهذا أمرٌ يستحق أن نقف عنده قليلاً فنقول:

إنّ العرب استعملوا هذه اللغة منذ العصر الجاهليّ، وهي لغةٌ فصیحةٌ وجاءت لها شواهد من القرآن الكريم^(٢٥)، والحديث النبويّ^(٢٦)، وأقوال الفصحاء من العرب، ووضع النحويون توجيهات تتلاءم مع ما تُحتمه قواعد الاستعمال المطرد للغة^(٢٧). ومن ذلك قوله: (فجعلوا بنو سعدٍ يتعجبون من أنواره)، وقوله: (فتعجبوا بنو سعدٍ من كلام الأتانة) وقوله: (فلما دنوا^(النصاري)). ولعلنا نتلمس له العذر في أنه وضع كتابه هذا في بدايات تشكيل المعرفة العربيّة، وبداية تععيد قواعد اللغة العربيّة.

سادساً: اعتمد المؤلف على الحضور اليقيني لما استشرفه من أحوال النبي - i -

على لسان حليلة السعدية في بعض المواطن في الكتاب من دون أن يחדش بذلك الروايات التاريخية، فقد حافظ على المضمون العام للرواية، وصاغها بضرب من الأداء الفني أضفى عليها جمالاً وتشويقاً. وقد ساعده على ذلك ما ورد من مظاهر العناية الإلهية بالنبي - i - في فصول ولادته ورضاعته كما دلّت على ذلك الروايات الكثيرة التي زحرت بها كتب السيرة النبوية. ومن ذلك هذا المقطع نأخذه مثلاً لما نحن بصدد: قالت أمنة تخاطب حليلة: (ما تنظرين إلى هذا المولود المبارك، فأني ما زلتُ مطلعة لأخبارك، قالت حليلة، فنظرتُ بهجةً ورونقاً، ومولوداً مُعشّقاً، ورسولاً مصدّقاً، شعرةً ليلاً عسّقا، فرقةً صبحاً متلاً، جبينه قمرأ مشرقاً، حاجبه

بالمسك قد تفرّقا، أنفه أضحى الحسن عليه مُسردقا، خدّه بماء الحياة مُرقرقا، عنقه بالأنوار مُطوّقا، كفه بالكرم كبحر مندققاً، صدره بمجامع العلوم غدقا، بطنه مُلأث عفةً وتقى، جسمه بأيدي الملائكة منمّقا). وهذا استشرافٌ واقِعٌ في فصول سيرة النبي - i - .

سابعاً: التقط المؤلف من أخبار السيرة بعض معجزات النبي - i - التي وقعت في زمان البعثة وجاء بها إلى أيام رضاعته، وهذا لا يخدم ما أراده من تلوين الحوادث التاريخية بضرب من الأداء المقترن بالمعجزات، لأن ما أورده وقع فيما بعد، على الرغم من هذا فإننا لا نستبعد أن يكون قد وقع مرتين، الأولى أيام رضاعته - i -، والثانية أيام البعثة، مثل تضليل الغمامة وتسييح الحصى.

ثامناً: إشراك الملاء الأعلى من الملائكة في تسيير الحوادث، وهذا ليس من الخيال، وإنما من الروايات التاريخية الصادقة التي وردت في كتب السيرة، مثل الاستشهاد برواية الملائكة الثلاثة الذين جاءوا بطشت ذي أركانٍ أربعة من الرّيرجد الأخضر، وخيروا النبي - i - بقبض ما يشاء من الأركان.... وهذا كلّه واقِعٌ محقّقٌ وليس واقِعاً سيّتحقّق.

تاسعاً: اعتنى المؤلف بالبعد المكاني لما يُضيفه من بعدٍ وظيفيٍّ لأحداث الرّضاعة، واتّخذ من الكعبة المشرفة مكاناً فاعلاً في ذلك كلّه لما لهذا المكان من تأثيرٍ في سير أحداث الرّضاعة وفي تحريك مشاعر المتلقّي الذي يرتبط وجدانياً وعفاندياً به. وهنا أدّى ذكر الكعبة في (رضاعة النبي - i -) مهمّةً رئيسةً في الأحداث، اقتربت من خلاله الكعبة المشرفة لتكون محوراً رئيساً في أحداث الولادة والرّضاعة، وهذا هو الحقّ الذي يتناسب تماماً مع نبوة النبي - i - .

النصُ المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وُلِدَ الْحَبِيبُ وَخُدَّةٌ مَتَوَرَّدُ
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا كَانَ النَّقَا(٢٨)
جَبْرِيلُ نَادَى فِي مَنْصَّةِ حُسْنِهِ
هَذَا كَحَيْلِ الطَّرْفِ هَذَا الْمُصْطَفَى
هَذَا جَلِيلُ النَّعْتِ هَذَا الْمُرْتَضَى
هَذَا الَّذِي خُلِعَتْ عَلَيْهِ مَلَابِسٌ
قَالَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِأَسْرِهَا
وُلِدَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا ذُكِرْتُ قَبَا(٢٩)
إِنْ كَانَ يُوسُفُ قَدْ أَفَاقَ جَمَالَهُ
أَوْ كَانَ أُعْطِيَ لِلْكَلِيمِ عِبَادَةً
يَا عَاشِقِينَ تَوَلَّهُوا فِي حُبِّهِ
يَا مَوْلِدَ الْمُخْتَارِ كَمْ لَكَ مِنْ ثَنَا
يَا لَيْتَ طَوَّلَ الدَّهْرَ عِنْدِي ذِكْرُهُ
بُشْرَى لِأَمْنَةٍ(٣٠) بِرُؤْيَا حُسْنِهِ
وَضَعْتُهُ مَكْحُولًا وَمَخْتُونًا كَمَا
عُطِيَ الْخَطَابُ مِنَ الْإِلَهِ تَشْرُفًا

وَالنَّوْرُ مِنْ وَجَنَاتِهِ يَتَوَقَّدُ
كَلَّا وَلَا ذَكَرَ الْحِمَا وَالْمَعْهَدُ
هَذَا مَلِيحُ الْكُونِ هَذَا أَحْمَدُ
هَذَا جَمِيلُ الْوَجْهِ هَذَا الْأَوْحَدُ
هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ هَذَا السَّيِّدُ
وَنَفَائِسٌ فَنَظِيرُهُ لَا يَوجَدُ
وُلِدَ الْحَبِيبُ وَمِثْلُهُ لَا يُوَلَدُ
كَلَّا وَلَا كَانَ الْمُحْصَبُ يُقْصَدُ(٣١)
أَقْسَمْتُ ذَا الْمَوْلُودِ مِنْهُ أَزِيدُ(٣٢)
فَمَحَمَّدٌ مِنْهُ أَجَلٌ وَأَعْبَدُ
هَذَا جَمِيلُ الْخُسْنِ هَذَا الْمَفْرَدُ
وَمَدَائِحُ تَعْلُو وَذِكْرُكَ يَوجَدُ
يَا لَيْتَ طَوَّلَ الْعَمْرَ عِنْدِي مَوْلِدُ
هَذَا هُوَ الْجَاهُ الْعَظِيمُ الْأَزِيدُ
قَدْ جَاءَ يُذَكَّرُ فِي الْحَدِيثِ وَيُسْنَدُ(٣٣)
يَا أَوْحَدَ الْأَكْوَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ

لولاك ما ذكِرَ العقيقُ ولا النَّقا
وحياة وجهك أنت أنت الأوحذ^(٣٤)
أترى بنجدٍ يسمَعُ الحادي بنا
يحدو ويعلنُ في الحديثِ ويُشِدُّ
ويقولُ: يا عَشاقُ هذا المصطفى
ويُشيرُ يا مشتاقُ هذا السيِّدُ
يا نازلينَ المنحنى في شرعكم
إنَّ المتسيمَ بالفراقِ يهددُ

قالتُ آمنَةُ: ثمَّ طلبتُ ولدي فلم أجدهُ، فإذا هو في مخدع في البيتِ، والنورُ يخرجُ من المخدع، قالتُ: فدخلتُ عليه فوجدتُهُ ساجداً لله تعالى رافعاً أصبعَهُ إلى السماءِ كالمُتضرِّع^(٣٥).

زَجَّتُهُ بالمِسْكِ تحديراً^(٣٦)، وطرفِ أسمى الجمالِ به قريراً، وأنفِ أحسنَ من حدِّ حسامٍ غدا مشهوراً، وشفقتينِ كالعقيقِ تلمعُ نوراً، وصدرِ أضحى بالإيمانِ معموراً، ويدي فُجِرَ منها ماءُ النَّعِيمِ تفجيراً، وقَدَمِ صدقٍ له في سعيِ السَّعَادَةِ مشكوراً، واضطرب الكونُ عند ولادتهِ فكأنه قد كان مخموراً، ونشرَ السَّعَوَدَ على الوجودِ نُثورا، وقرأ مقرأ^(٣٧) القصدِ وقد أصبحَ موطنُ الإيمانِ معموراً، وأنزلَ في حقِّه من لم يزلْ علياً كبيراً^(٣٨)، [يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً* وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً* وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً]^(٣٩). وأنشد في المعنى يقولُ:

شعر

بجنابِ عزِّكَ ترحلُ الرِّزَّوارُ
وبنورِ وجهك تُكشفُ الأستارُ
والنَّوْقُ لولا نورَ وجهك ما هتدتُ
وكذا الحداةُ لولا سناؤك حاروا
لما حدا الحادي بذكرِ المصطفى
مُدَّتْ إليه كأنها أطيَّارُ
ولقد ملكتْ قلوبَ أربابِ الهوى
وبطيبِ ذكركِ تنطِقُ الأحجارُ
فتمايلتْ أعناقُها وتراقصتْ
تبغي جنابك سيِّدَ الأقمارُ
يا مَنْزلاً فيه حبيبُ قلوبنا
يا روضةً فيها لنا الأسرارُ
يا حجرةً ضمتْ نبياً مُرسلاً
في عشقه تتهتَّكُ الأستارُ

لولاك ما هجرَ المتيمُّ أهلهُ
صَبَوْا دموعَ عيونهم مدرارُ
باعوا النفوسَ على هواك وأقبلوا
يرجوا رضاك لأتكَ السَّمسارُ
أنتَ الشَّفيعُ إذا جهنَّمُ أقبلتْ
ترمي العَصاةَ فييأسُ الأشرارُ
يا سيِّدَ الكونينِ أنتَ المصطفى
يا منْ به تتشرفُ الأمصارُ
صلى عليك اللهُ في السَّبْعِ العلى
دوماً وما عقبَ الظلامَ نهارُ

قالت أمنة: ثمَّ نظرتُ وإذا أنا بثلاثةٍ من الملائكةِ (٤٠)، مع أحدهم طشتٌ من الزَّبُرِجِدِ الأخضرِ، وله أربعةُ أركانٍ، على كلِّ ركنٍ جوهرَةٌ، وإذا بقائلٍ يقولُ: هذه الدُّنيا شرُّها وغربُّها وبرُّها وبحرُّها، فاقبضْ يا حبيبَ اللهِ يا محمَّدُ على ما شئتَ منها، فقبضَ على الجوهرَةِ التي في وسطِ الطشتِ، فهي قبلتُّه وقبلتُّه أمَّتِه إلى يومِ القيامةِ، وأنشد في المعنى يقول:

شعر

سأقسِّمُ بالقبابِ ومنْ حواها
حبيبُ اللهِ خيرُ الخلقِ طه
وبالآياتِ ومنْ نزلتْ عليه
وبالسَّبْعِ المثاني ومنْ تلاها (٤١)
وبالسَّبْعِ الطِّباقِ ومنْ رَفَعَهَا
بلا عمدٍ فحقاً قد بناها (٤٢)
وبالأرضِ المهادِ ومنْ سطَّحها
على الماءِ العميمِ ومنْ دحاها (٤٣)
بأنَّ محمَّداً خيرُ البرايا
شفيغُ الخلقِ في يومٍ يراها

الرِّضا قد أقبلَ في ربيعِ الأوَّلِ بالبشيرِ النَّذيرِ السِّراجِ المنيرِ (٤٤) سيِّدِ الأنامِ، يا له منْ مولودٍ وولنا به المقصودُ، وجلَّ الجليلُ زادُه احتشاماً (٤٥)، يومَ الثاني عشرِ (٤٦). قد أتى بالفلاحِ والنجاحِ والاحترامِ.

شعرُهُ ما أسودُّه، رأيُهُ ما أسعدُّه، قد حكَمَ ما ظلمَ، وأشفى السُّقامَ، ما أشفقهُ ما أرفقهُ ما أرحمَهُ، لئنْ طيَّبَ الكلامَ، نُطقُهُ ما أفصحَهُ (٤٧)، قدرُهُ ما أرجحَهُ، لا في المِلاحِ (٤٨) ولا في الفِصاحِ (٤٩) ولا في الكرامِ.

بشهرِ ربيعِ بلغنا المنى
ونلنا السَّرورَ ودامَ الهنا

بمولدِ المصطفى أحمد
كريم الأيادي عظيم الثنا
تكمّلت فيه أفرأخنا
فأكرم به حبيباً دننا
أبان سبيل الهدى رشده
فإننا بنور الهدى رشدنا
ولما أتى يوم ميلاده
جعلناه لما أتى عيدنا
بمولده شرف الكائنات
وجاء السرور وزال الغنا
فهو الشافي الرفيغ الذي
به يغفر الله عمّن جنى
فصلّوا عليه عسى تبلغوا
جنان النعيم ونيل المنى

هذا كلّهُ وعبدُ المطلب عند الكعبة.

قال عبدُ المطلب: فبينما أنا أطوفُ بالبيت، وقد مالَ بجوانبه الأربع وخرَّ ساجداً في مقام إبراهيم، وسمعتُ منه التهليلَ والتكبيرَ، ثمَّ استوى قائماً وهو يقول: الحمدُ لله الذي خصّني بمحمّدٍ المصطفى.

قال: ثمَّ جعلتُ الأركانُ تُسلّمُ بعضها على بعضٍ وهي تقول: جاءكم رسولُ الله، وهو النورُ والكتابُ المبين، تحصّنتُ بالحيِّ القيوم الذي لا يموتُ أبداً، ودفعتُ عني السوءَ بألفِ ألفِ لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

قال عبدُ المطلب: فخرجتُ من بابِ الصفا^(٥٠) أطلبُ منزلَ أمنة، وإذا بالأرضِ ومَن عليها يهلّلون ويكبرون ويقولون: جاءكم رسولُ الله.

قال عبدُ المطلب: ثمَّ نظرتُ وإذا بالأصنامِ سقطتُ من أعلى الكعبة، فجلّلتُ أمسحُ عن عيني وأقول: أنا نائمٌ أم يقضان؟ قال: فلمّا أتيتُ إلى منزلِ أمنة رأيتُ الطيورَ عُكوفاً على منزلها، والمسكُ يفوخُ من حجرتها، وقائلٌ يقول: ما الخبرُ؟، فقيل: وُلدَ سيّدُ البشر، وفخرُ ربيعةٍ ومضر، فطرقتُ عليها الباب، فخرجتُ إليّ كسهمِ النَّشاب، وليس عليها أثرُ النَّفاس، فأومأتُ إلى ثوبي أن أشقّه نصفين، فقالت: ما لك يا عبدَ المطلب؟

فقلتُ: أين النورُ الذي كان على وجهك؟

قالت: وضعتهُ أكملَ وضع، وقد هتفَ بي هاتفٌ وهو يقول: سمّيه محمّداً، فإنَّ اسمه في السماء محمّداً^(٥١)، وفي التوراة مؤيّد، وفي الزبور الهادي المُسدّد، وفي الإنجيل أحمد^(٥٢)، وفي القرآن طه ويسين ومحمّد^(٥٣).

فقال: أرني إياه، قالت: دونك ها هو في المخدع. قال: فدخلت عليه، وإذا بشخص عظيم القَدِّ والطَّوْلِ، وببيده سيفٌ مشهورٌ، فصاح عليَّ صيحةً ارتعبتُ منها، ثمَّ قال: حيلَ بينك وبينه إلى ثلاثةِ أيَّامٍ حتى تنقضي منه زيارةُ الملائكةِ.

ثمَّ إنَّ أمانةَ حدَّثتُهُ بما رأَتْ في ولادتها وبما سبقَ من كلامِ الهاتِفِ، وأنَّ تُسمِّيهِ محمداً، قال: نَعَمْ الاسمُ هو يا أمانةُ لِيَحْمَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ كما حمَدَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. وسمعتُ قائلًا يقولُ: أعيذُ بالواحدِ من شرِّ كلِّ حاسِدٍ^(٥٤)، من قائمٍ أو قاعدٍ، يأخذُ بالمراصِدِ في الطُّرُقِ والمواردِ، أعيذُ بالماجدِ من فتنةِ المعاندِ، وأنشد في المعنى يقولُ:

شعر

يا لانمَ العشاقِ كَفَّ الملام
فما خلِّي البالِ كالمُستَهامِ
لو كنتَ مثلي من شرابِ الهوى
سكرانَ ما لمتَ قتيلاً الغرامِ
دعني فقد لَدَّ انتهاكي بمن
إحسانُهُ قد عمَّ كلَّ الأنامِ
دعني فمالي صبرُ عن سادتي
قد أحرَموا جفني لذيدَ المنامِ
دعني أمتٌ وجداً فيا حبذا
إن قيلَ هذا ماتَ موتَ الكرامِ
دعني فهو ديني وهو مذهبي
دعني أصرَّخُ ما عليَّ ملامِ
أجلى على العشاقِ ميلادُهُ
في عامنا هذا وفي كلِّ عامِ
فهذه أنوارُهُ قد بدتْ
استيقِضُوا واغتمُوا يا نيامِ
فالفيلُ قد راقَ ووقتي صفا
ودارتِ الكؤوسُ لشربِ المدامِ^(٥٥)
فطِبُّ وغَيَّ يا نديمي ولا تخش
فهذا السَّكرُ ما هو حرامِ
فما ترى ذا الجمعِ قتلى به
ومنقَبِلَ في حَبِّهِ لا يُلامِ
فإن تكنَ ممَّن به يدعي
فلا تكن في الليلِ ممَّن ينامِ
وقلْ معي يا طالباً للوصالِ
طابَ افتضاحي ذا بأهلِ الخيامِ
وقفْ على البابِ وقلْ دائماً
يا أكرمَ الرُّسُلِ عليك السَّلامِ

عليك صلى ربنا دائماً ما غرّد القمري وناح الحمام (٥٦)

شعر (٥٧)

إن رُحمتَ ذا بشارةٍ يا جَدَّ خَيْرِ البشْرِ
بسيِّدِ الرُّسُلِ الرِّضِيِّ ربِّ المَحِيّا الأزهري
محمَّدَ شافِعنا يومَ الألقا في المَحشْرِ
فالشَّمسُ وافِتَتْ فرحاً في ثوبها المَعْصِفِ (٥٨)
والبدرُ وافى ضاحكاً عند سماعِ الخبْرِ
ومن نجومها السَّما تزيّنتُ بالذَّرِ
والأرضُ أضحت تنجالي في ثوبها المَدثْرِ
وهذه البشري بمن قد خصَّه بالكوثِ (٥٩)
عمتْ جميعَ النَّاسِ من بدوٍ بدا أو حضرِ
صلى عليه ربنا ما ماسَ غصنُ الشَّجْرِ (٦٠)
وآلهِ وصحبهِ أهلُ التَّقَى والنَّضرِ (٦١)

فانظروا رحمكم الله تعالى إلى أدلة كرامته، والمعجزات والبراهين وخمود نار فارس (٦٢)، وسقوط الشرفات (٦٣). وتقطعت من الكهان حبال المطامع، ورجع كل جبار من الجنّ والأنس لصوله سطوته ذليلاً خاضعاً (٦٤).

فلما غرض على المراضع، قيل: من يرضع هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لها قيمة. قالت الوحوش: نحن نرضعه ونغتنم خدمته العميمة.

قال (٦٥): وكان كل يرتجيه، ويؤمله ويطمع فيه. وصرن النسوة يدخلن على أمه آمنة ويعرضن أنفسهن عليها، فتأبى آمنة وتقول: إن أمره إلى جدّه عبد المطلب.

قال: فلما كان في بعض الليالي وآمنة نائمة إذ هتف بها هاتف، تسمع صوته ولا ترى شخصه، وهو يقول هذه الأبيات:

شعر

أيتها الأمنة الطاهرة الكريمة لا زورَ في قولي ولا نميمة
أن تُرضعي محمداً قويمه فمن بني سعدٍ وهي حليلة
لأنها بريرة^(٦٦) رحيمه وهي من الخنا غدت سليمة

قالت أمنة: فلما سمعتُ وصغيْتُ لما أمرتُ^(٦٧) - وكانت أمنة كلَّما انتهت إليها
مُرْضعةً تستخبرُها عن اسمها وحسبها ونسبها وتصرفها بكلامٍ جميلٍ، وتنتظرُ الوعدَ
والاسمَ الذي عرفته من الهاتفِ.

قالَ فحزكَ اللهُ تعالى قلبَ حليلةِ السَّعدية لرضاعِ سيِّدِ البريةِ. وكان سببُ تحريكِ
قلبِ حليلةِ لرضاعِ النبيِّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسلم، أنها كانتُ هي وقومُها في تلكِ
السَّنةِ في جهدٍ عظيمٍ وقحطٍ. قالتُ^(٦٨): وكنا فقراءَ ولم يكن لنا شيءٌ، فكنْتُ أخرجُ أنا
وصُويحباتي من نباتِ بني سَعْدٍ نلتقطُ من نباتِ الأرضِ ونأكلُهُ من شدَّةِ الجوعِ والفاقةِ،
فلما كان في بعضِ الأيامِ، خرجتُ حليلةٌ مع صويحباتها فوقعتُ في مضيقٍ من الأرضِ
فيها نباتٌ مما يؤكلُ وماءٌ سارحٌ.

قالَ: فأكلتُ حليلةٌ من ذلكِ النباتِ وشربتُ من ذلكِ الماءِ. قالتُ حليلةٌ: فبينما نحنُ
كذلكِ إذْ هتف بنا هاتفٌ من ذلكِ الوادي، نسمعُ صوتهَ ولا نرى شخصهَ، وهو يقولُ:
(أفلح من يُصلي ويُسلم على الرِّسولِ)^(٦٩):

شعر

أيا نُسوةَ الحيِّ ويا خيرَ بني سَعْدِ
تعالينَ وبادرنَ إلى ذا القمرِ الفردِ^(٧٠)
فمن تُرضعه منكنَّ فلا يلحقها جهدي^(٧١)
حبيبٌ حسنُ الوجهِ كريمُ الأبِ والجدي
لئن حلَّ بواديكُم لتُنجنَّ من الجهدي
صلاةَ اللهِ تغشاهُ إذا ما صوتَ الرِّغدُ^(٧٢)

قالتُ حليلةٌ: ثمَّ انقطعَ عَنَّا كلامُ الهاتفِ، وعاودَ^(٧٣) الأبياتِ يحثُّنا على المسيرِ إلى
مكةَ، فرجعنا إلى الحيِّ، وكلُّنا خائفاتُ، ولم نأخذُ شيئاً من النباتِ، فقال بعلي: يا حليلةُ

أراك كالطائشة ولم تأتيني بشيء، فأخبرته بقول الهاتف، سمعه أقصانا وأداننا وهو يحثنا على الرّواح إلى مكة لأجل رضاع عظيم القدر، فلما سمع زوج حليمة ما ذكرت من بركاته، قال: يا حليمة سيري بنا إلى مكة لعلّ الله يخصنا بهذا المولود.

قالت حليمة: وكنت حاملاً وقد حان وقت ولادتي، فولدت ولدي ضمرة^(٧٤) وأنا أتلوى جوعاً وجوعاً، فلما وضعته غشيت علي من الجوع وأتاني أت في المنام فاحتملني وقدفني في نهر، لونه أشدّ بياضاً من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، ورائحته كالمسك الأذفر^(٧٥)، فقال لي اغتسلي فاغتسلت، ثم قال لي: اشربي فشربت ثم ردني إلى مكاني، وقال لي: يا حليمة أنت المخصوصة برضاع النبي العربي، وهو النبي المكّي الأبطحي^(٧٦)، فعليك ببطحاء مكة فإنّ لك فيها رزقاً واسعاً، وتكوني أسعد نساء قومك، ثم ضرب بيده على صدري، وقال أدرك الله لك اللبن، وجنّيك المحن، فوعزة ربي لقد انتبهت من النوم وأنا لا أقدر على حمل ثدياي، وقد كسيت حسناً وجمالاً، وصويحباتي بطونهنّ لاصقات بظهورهنّ، وهنّ صفرّ الوجوه من غير علة. فقلن لي نحن بالأمس فارقناك وأنت أشدّ منّا جوعاً، وأنت اليوم سميئة لبينة^(٧٧)، فكتمتهنّ أمري، وقلت لبعلي: احملني إلى مكة، ولم يكن لنا إلاّ أتانة^(٧٨)، إذا مشيت يتخضض^(٧٩) ما في بطنها من شدة الجوع والضعف، فقال بعلي: يا حليمة إنك لتحمّلينها ما لا تطيق، فقلت: يا قرين الخير، الله يحملنا ويحملها، فقدّم بعلي الأتانة، وكنا نعدّ أضلاعها^(٨٠)، فأركبني عليها وأخذت ولدي ضمرة في حضني، وهي تدبّ بنا كدبيب النمل، أو كالمعلقة رجلاها في الوحل، فلما سرنا على الجادة^(٨١) وقفت الأتانة، فقال بعلي: يا حليمة أرجعي بنا كي لا يطير الناس بنا، فقلت: يا قرين الخير إنّ قلبي واثق بالله، إنّ المولود لنا دون غيرنا، فبينما نحن نقول: نسير أو نرجع، وإذا قد برز إلينا من الشّعب رجل كالنخلة السحوق^(٨٢) وبيده حربة لامعة، فأقبل إلى الأتانة وأشار إليها بالحربة، وقال لها: انشطي واسرعي لرضاع الصادق الأمين وسيد المرسلين وحبیب رب العالمين، ثم قال: ابشري يا حليمة بما خصك الإله وفضلك بأكرم النبيين وسيد المرسلين وحبیب رب العالمين.

قالت حليمة: فوالله لقد أسرع بنا الأتانة إلى أن سبقت الركب بأسره، فأول من أشرف على الحرم أنا، فنظرت إلى مكة ومن حولها، والحرم ينجلي كالعروس، وقد أزهرت الأرض والأشجار بأصناف الأزهار، وذلك ببركة محمد المختار صلى الله تعالى عليه وسلّم ما دام الليل والنهار.

قالت حليمة: فنزلت بأطراف الحرم، فلما رأوا رفقائي ذلك العشب العزيز نزلوا يرعون فيه، ويأكلون من الثبات، وقد عاشوا هم ودوابهم. فلما أصبحوا دخلوا مكة المحروسة المشرفة، وكلّ منهنّ تطمّع أن تكون هي المخصوصة بذلك المولود الذي أثار طلعتة^(٨٣) الوجود.

قال: فأقبلت آمنة إلى عبد المطلب، قالت: يا سيدي ألا تخرج إلى هؤلاء المرضعات فتتظر لولدك محمد مرزعة. قال: نعم، فحين خرج من عندها، سمع الهاتف يهتف ويقول هذه الأبيات، أفح من يصلي على الرسول:

شعر

إن ابن آمنة الأمين محمدًا^(٨٤) خير الأنام وصفوة الرحمن
ما إن له في الناس غير حليمة
وسليمة من كل عيب فاحش
لا تسلميه إلى سواها إنه
أمر أتى حقاً من الديان
ونقطة الأثواب والأردان
أمر وحكم جال في الأنوان

قالت حليمة: وجعلن النسوة المرضعات يدخلن على أمه آمنة، وهي عن أسمائهن مسائلة، فإذا لم تسمع الاسم والقبيلة تصرفهن بكلام جميل، وتقول: إن ابني يتيم، وكانوا لا يرغبون في التيميم، ويرغبون في الولد الذي له أب، لأنه يكرم مرزعة ولده.

وإن عبد المطلب خرج يستقبل مرزعة لولده محمد، فإذا تكلم معهم فيقولون: هو ولدك؟، فيقول: لا ولكن هو أعز من ولدي، وأبوه مات وهو في بطن أمه^(٨٥)، فكانوا إذا سمعوا بيئته يعرضوا عن طلبه.

قال: فدخلت حليمة مكة وسألت عن سيد الحرم، فقالوا: هو عبد المطلب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فلما وقفت بين يديه، أشارت بالسلام عليه، وقالت: يا سيد الأشراف، يا من عرف بالجوود والإنصاف، اعلم إنني امرأة سعيدة، وقد جار الزمان علينا بصروفه، وقد مرت بنا سنين أذابت الشحم واللحم، وأهلكت الشاة والبعير، ولم يبق لنا معين ولا نصير، وزاد علينا في هذا العام الجذب حتى شاركنا الأغنام في مراعيها، وقد قصدتكم يا سيد الحرم ومعدن الجود والكرم في مولود أَرْضِعُهُ لِعَلِيٍّ أَسْعُدُ بِهِ، فقال لها عبد المطلب: يا أمة الله، اتقائ حسن وجلم وسعد، وأنا عندي غلام لم تلد النساء مثله ولا أحسن منه ولا أجمل ولا أكمل ولا أنور ولا أبهى ولا أضوأ من طلعت، إلا إنه يتيم لا أب له، فإن رغبت فيه فخذيه، وأنا مقام أبيه.

قال: فلما سمعت حليمة كلام عبد المطلب أمسكت عن خطابه، ولم يعجبها ما ذكر لها من بيئته فقالت له: يا سيدي إن معي بعلي وما أقدر أقطع أمراً دونه، وها أنا راجعة إليه أشاوره في هذا الأمر، وأنكر له ما ذكرت من أمر هذا المولود، فقال لها عبد المطلب: افعلي ما بدا لك وارجعي إليّ بالجواب. فرجعت حليمة إلى بعليها، وقلتها يحن إلى ما ذكر لها. فقال لها بعليها: ما خبرك يا حليمة؟، فقالت له: إن سيد الحرم عبد المطلب سأله الرضاع، فذكر لي أن عنده مولود حسن جميل الصورة إلا أنه يتيم لا أب له، فلم أخذه خوفاً منك ومن ملامتك، فما أنت قائل؟.

فقال لها بعُلمها: ويحك يا حلِيمَةُ ما تفعلين باليتيم^(٨٦)، وإِنما تُريدُ رِفْدَهُ^(٨٧) من أبيه، فقالت: إِنَّ جَدَّهُ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ قائمٌ بأمرِهِ، وقد ضَمِنَ لي خيراً كثيراً، فقال: ويحك يا حلِيمَةُ ترجعِ المراضعِ بالأَنعامِ من آباءِ العُلَمانِ وأنتِ ترجعينِ بَعلامِ يَتِيمِ، لا كان ذلكَ أبداً.

فصبرتُ حلِيمَةُ على كلامِ بعلها، فلَمَّا أَمسى المِساءُ أُسبلتُ حلِيمَةُ دمعَتَها، فقال لها بعُلمها: ما لكِ يا حلِيمَةُ تبكينِ؟، قالتُ: يحقُّ لي البكاءُ، ترجعُ (نساءً)^(٨٨) بني سَعِدِ بالرضاعِ وأنا أرجعُ بالخِيبَةِ! فقال لها بعُلمها: وما الذي تريدِينِ؟، قالتُ أريدُ المولودَ الذي وصفهُ لي عَبْدُ الْمُطَّلَبِ، فعسى اللهُ أَن يُسعدَني به. فقال لها: دونكِ إِيَّاه.

فخرجتُ حلِيمَةُ إلى عَبْدِ الْمُطَّلَبِ. قال: وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ لَمَّا فارقَ حلِيمَةَ دخلَ على أَمَنَةَ وذكَّرَ لها ما كان منه ومن حلِيمَةَ، فقالتُ أَمَنَةُ: أريدُ هذه لا أريدُ غيرها لما سبق من كلامِ الهاتِفِ.

فرجعَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ على إثرِهِ يطلبُ حلِيمَةَ، وحلِيمَةُ جاءتْ في طلبِهِ، فالتقيا في الطَّرِيقِ، فلَمَّا رأتَهُ عرفتهُ، قالتُ: أين يا سيِّدَ العَرَبِ؟، قال: إليك يا عَالِيَةَ النَّسَبِ، قالتُ: وأنا كذلكُ يا سيِّدَ الحَطيِّمِ^(٨٩)، أتيتُ لرضاعِ الطِّفْلِ اليَتِيمِ، لعلَّ اللهُ أَن يُسعدَني به الرَّبُّ الرَّحِيمِ، فسارَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ من أَمامِها وهي من ورائِهِ، ولسانُ الحالِ يقولُ: أفلحَ من يُصَلِّي ويُسَلِّمُ على الرَّسولِ:

شعر

ألا إِنَّ قَصدِي من تَكمَلِ معناه
ومن عَرفُهُ قد فاحَ في عَسَقِ الدُجى
تملَّتُ به يا ليتني كنتُ شاهداً
يا ليتني بالعينِ شاهدتُ معناه
يقولُ لسانُ الحالِ عنها وعشيقها
يُبرهنُ عنها ليس قَصدِي إِيَّاهُ
ملكَتُ معاني الحَسنِ يا أشرفَ الورى
فأهلُ الهوى في بحرِ حَسنِكَ قد تاهوا
لك اللهُ حادي العيسِ إن جَزَّتْ حاجِراً
وعرَّضتِ بالمُشتاقِ ثمَّ لك اللهُ
وأزكى صلاةً وسلاماً مُعَطِّراً^(٩٢)
على ماجدٍ قد عَطَّرَ الكونَ رِيَّاهُ

قال: فلَمَّا أتى عَبْدُ الْمُطَّلَبِ وحلِيمَةَ إلى بيتِ أَمَنَةَ، دخلتُ^(٩٣) حلِيمَةُ عليها مع عَبْدِ الْمُطَّلَبِ وسَلِّمتُ عليها، والتقتها أَمَنَةُ بالترحيبِ والتكريمِ، وقالتُ لها: واللهِ يا حلِيمَةُ أنتِ أحقُّ الناسِ بولدي وحُشاشَةِ كَبدي، قومي يا حلِيمَةُ وانظري من ولدي بلا تَعَنٍ^(٩٤)، وإِنَّكَ لتأخذِيهِ بالرغمِ مِنِّي، وأنشدتُ تقولُ شعراً:

سيرى يا حليلة وارضى هذا المفدى
هذا الذي لولاه ما عشق الحمى
هَذَا الَّذِي فِي حُسْنِهِ زَادَ فَرْدَا
كَلَّا وَلَا كَانَ السُّرُورُ إِلَيْهِ يُهْدَى
وَإِذَا تَبَدَّى يَا حَلِيمَةَ فَابْشُرِي
بِالْقَصْدِ مَا تَلْقَيْنَ بَعْدَ الْيَوْمِ نَكْدَا
فَلِكِ الْهِنَا بِرِضَاعِهِ وَهُوَ الَّذِي
عَنْ وَجْهِهِ قَمَرُ الْمَلَاةِ مَا تَعْدَا

قال الراوي: ثم إن أمانة أخذت بيد حليلة وأقبلت بها إلى البيت الذي فيه حضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

قالت حليلة: فلما دخلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، نظرت إلى البيت الذي فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا هو يتلأل نوراً ساطعاً، فقلت لها: يا سيدي هل حول ولدك مصابيح؟، قالت: لا بل هو نور وجهه المليح الذي يُغني عن المصابيح.

قالت حليلة: فتأملتة فإذا هو نائم على ظهره، وهو يمص أصابعه، وهي تشخب لبناً، واللبن يسيل على وجهه^(٩٥).

فقلت أمانة: ما تنتظرين إلى هذا المولود المبارك، فإني ما زلت مطلعة لأخبارك، قالت حليلة، فنظرت بهجة ورونقاً، ومولوداً معشفاً، ورسولاً مصدقاً، شعره ليلاً عسفاً، فرفه صنبحاً متلألاً، جبينه قمرأ مشرقاً، حاجبه بالمسك قد تفرقا، أنفه أضحى الحسن عليه مسردقا^(٩٦)، خذه بماء الحياة مرققا، عثفه بالأنوار مطوقاً، كفه بالكرم كبحر مندققاً، صدره بمجامع العلوم عذقا، بطنه ملأت عفة ونقى، جسمه بأيدي الملائكة منمقا، قدمه على بساط السجود بالجود قد أرتقا، والمليح الموصوف ملفوف في ثوب من الصوف بالنعيم لا بالشقا، فسبحان من لهذا المولود خلقا.

شعر

صِفْ لَنَا صَاحِبَ النَّقَا
وَالرَّسُولَ الْمَصْدَقَا
فَعَسَى حُسْنُ وَجْهِهِ
يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالشَّقَا
مَا أَحْلَى حَدِيثَهُ
سَاعَةَ الْوَصْلِ وَاللِقَا
كُنَّا نَعشِقُ الْحَبِيبَ
وَالنَّبِيَّ الْمَصْدَقَا
وَحَبِيبِي مُنَادِمِي
مِثْلَهُ لَيْسَ يُخْلَقَا
مَا تَرَى نَوْرَ وَجْهِهِ
وَهُوَ فِي الْكُونِ مُشْرِقَا

فالزِمَ البَابَ دَائِماً إِن تَن فِيهِ صَادِقاً
كُلُّ مَنْ زَارَ قَبْرَهُ لَيْسَ فِي النَّارِ يُحْرَقَا
صَلُّوا عَلَيْهِ يَا حَاضِرِينَ تَحَضُّوا بِهِ يَوْمَ الْإِلْقَا

قالت حليمة: فلما نظرتُ إلى حسنِهِ وجمالِهِ وكمالِهِ لم يبقَ عِرْقٌ ولا عُضْوٌ إلا ودخلَ محبتهُ فيه.

قالت حليمة: فجلستُ عند رأسِهِ أتملى بنورِ طلعتِهِ، فلما أطالَ عليَّ نومُهُ خفتُ إبطائي على زوجي فمدّيتُ يدي أن أجعلها على صدرِهِ ففتَحَ عينيه وضحك في وجهي، فخرجَ من فمه نورٌ لحقَ بعنانِ السَّماءِ، فهممتُ أن أرفعهُ، فنهَضَ بنفسِهِ فإذا هو على يدي فقبَّلتهُ ولم أعلمَ أمانةً بما عاينتُ منه خيفةً أن تأخذهُ مِنِّي، ويحقُّ لها ذلك.

قالت حليمة: فناولتهُ ثديي الأيمنَ فوضعَ، ثمَّ ناولتهُ ثديي الأيسرَ فامتنعَ، وكان ذلك إلهاماً من الله تعالى، وعلمَ أن له شريكاً في اللبن^(٩٧).

قالت حليمة: فكان ثديي الأيمنُ لرسولِ الله i ، وثديي الأيسرُ لولدي ضمرة. ثمَّ احتملتهُ وخرجتُ به من عند أمانة، وقد مُلئتُ فرحاً وسروراً. فلما عزمْتُ على المسيرِ، قالَ عبدُ المطلبِ: مهلاً يا حليمةُ حتى نُزودَكَ ونرفدَكَ. قالت حليمةُ: قلتُ حبيبي محمداً لا أريدُ رُفداً غيرَهُ، قد كفاني بطلعته البهية. ثمَّ مدحتُ عبدَ المطلبِ وحملتُ حبيبي محمداً i وولدي ضمرة، ونورُهُ يُشرقُ عليَّ، ثمَّ ودعتُ أمانةً وعبدَ المطلبِ وخرجتُ، فتعلقتُ بي أمانة، وأنشدتُ تقول: أفلحَ من يُصلي ويُسلمَ على الرسولِ.

شعر

هنيئاً بالتواصلِ يا حليمة لقد فزتِ بأنعامِ عميمة
وقد أضحتُ أموركِ مستقيمة وذاك^(٩٨) السَّعدُ يسعي يا حليمة

لك البشري فطبيبي يا حليمة

لك التوفيقُ قد نلتِ الرِّضاعة بخيرِ الخلقِ قد أعطي الشِّفاعة
وفي أوصافِهِ حسنُ القناعة حوى بالجوِّدِ أوصافَ حليمة

لك البشري فطبيبي يا حليمة

(٣٦) رضاعة النبي ا - محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)

كفلتِ المصطفى طه المفدى
نبيّ بالمكارم قد تردّا (٩٩)
يغارُ البدرُ منه إذا تبدى
وتهنّي بالنعيم أنتِ مقيمة

لك البشرى فطبيبي يا حليلة

نبيّ نورهُ في الكونِ لائح
وطيبُ شذاهُ في الأكوانِ فائح
ومنْ أوصافه تُتلى المدائح
حوى بالجوّد أوصافَ كريمة

لك البشرى فطبيبي يا حليلة

بدارِ الخلدِ من صلّى عليه
وآثارُ السّعادةِ جاءتْ إليه
نعيماً زائداً وافى إليه
وحُورُ الجنانِ له خديمة (١٠٠)

لك البشرى فطبيبي يا حليلة

قالت حليلةُ فجعلوا (١٠١) بنو سعدٍ يتعجّبون من أنواره ومن سموّ علوّ مقداره، ويقولون يحقُّ لهذا المولود أن يُمدح بكلِّ لسانٍ، لأنّ مثله لم يوجد في سائر الأكوان، وبتنا تلك الليلة بأسرٍ مبيتٍ وأرغد عيشٍ، نحن وبنو سعدٍ، فلما أصبحنا عولنا على المسير، فركبتُ الأتانةَ وأخذتُ محمّداً قدامي في حضني (١٠٢) الأيمن، وولدي ضمرّة (في) حضني (١٠٣) الأيسر، وسرنا فإذا أتاني قد سبقتُ الرّكبَ بأسره، فقالوا (١٠٤) بنو سعدٍ: يا حليلةُ كُنا نعهدُ أتانتك (١٠٥) لا تمشي وهي فارغةٌ، وأنتم اليوم عليها ثلاثة، وهي تسري كالبرق الخاطف، فأنطق الله الأتانة، وقالت: يا بني سعدٍ ممّا تتعجبون مني وقد علا ظهري سيّد الأوّلين والآخرين، فببركاته زال هزالي وحسنُ حالي واستترتُ أحوالي، فتعجّبوا (١٠٦) بنو سعدٍ من كلام الأتانة، فظننا ذلك خيالاً لا حقيقةً. فلما سبقتُ بني سعدٍ وغبتُ عن أعينهم، وإذا قد استقبلني أربعون راهباً، ومعهم الأسقف، وهو (الأسقف) يُحدّثهم بحديثِ سيّدنا محمّدٍ (١٠٧)، ويذكرُ لهم نعتَهُ، ويقولُ هذا أوأئهُ، وإنّه يُكسِرُ الأصنامَ، وهم في حديثهِ، وحليمةُ اجتازتُ بمحمّدٍ (١٠٨)، وهو في حضنها والنورُ يُشرقُ من غرّته إلى عنانِ السّماء، فصرخَ الأسقفُ على أصحابه، وقال لهم: دونكم هذا هو المولودُ الذي حدّثتكم عنه فاقتلوه، فقد أدركتم الفرصة.

قالوا: يا أبانا ما تنظر إلى أنواره، فقال لهم: اقتلوه، فإنه إذا بلغ مبالغ الرجال ليقتلنكم (شر) (١٠٩) قتلة. فجدبوا (١١٠) النصارى سيوفهم وأسرعوا نحو ولدي محمد - i (١١١).

قالت حليلة: فلما رأيت من النصارى ما رأيت فضميته (١١٢) إلى صدري وناديت بأعلى صوتي: وا محمداه واقرة عيناه، فلما دنوا (١١٣) النصارى مني وعلت سيوفهم رأسي رأيت محمداً i (١١٤) رمقاً بطرفه إلى السماء، وقد كادت سيوفهم تغشاني، وإذا بأبواب السماء قد فتحت وانقض منها نيران كالشهب، فأهلك النصارى بأجمعهم وقائلاً يقول: أهلك الكفار بنار الجبار ببركة محمد المختار.

ثم إن بني سعد ساروا إلى أن أشرفوا على حيهم، فالتقوا المقيمين بالقاديين، فلما وقعت أعينهم على أنوار رسول الله - i (١١٥) - قالوا: والله ما رجعت بما رجعت به حليلة.

قال: واصبحت مروجهم وأراضيهم مخضرة نضرة، ونزلت عليهم البركات وتتابع الخيرات وزالت عنهم الترحات (١١٦)، ببركة محمد - i (١١٧) - صاحب المعجزات والبراهين والبركات والآيات والدلالات، فتبادرت إليه الرجال والنساء يُقبلون سيّد الأنبياء i (١١٨) - وألقى الله تعالى محبته في قلوبهم، حتى كان هو غاية مطلوبهم.

فلما صار عمره سنتين فكان يشب شباباً لا يشبه أحد من الغلمان. قالت حليلة: لقد كنت معه في رضاعه بكل خير، فوالله ما غسلت له ثوباً قط، ما كان إلا نظيفاً طاهراً، ولم أجد له غائطاً ولا بولاً قط.

فلما دبّ ومشى وكبر وانتشى فكان يرى الغلمان يلعبون فلا يفرخ بهم، فقالت حليلة: فبينما أنا جالسة ذات يوم إذ أقبل إليّ وسأل عن إخوته، فقلت له: يا حبيبي إنهم يخرجون يرعون أغنامنا التي رزقنا الله إياها ببركتك، فقال: يا أمّاه ما أنصفت بيني وبين أخوتي، أنا أفعد في الظلال وأشرب الماء الزلال، وأخوتي في السمائم (١١٩) وحرّ الهواجر (١٢٠)، فقلت له: يا بني إن إخوتك تربوا في الشقا والجبال وأنت تربيت بالرّفاهة والدلال، وأيضاً يا ولدي إنني أخاف عليك من الحواسد والعيون الرّواصد، فقال: بالله عليك (١٢١) يا أمّاه اصرفي عنك (١٢٢) اللوم، نعم الحافظ هو الله تعالى، سلّمني إليه وتوكلي عليه فهو الكافي من توكل عليه، قالت حليلة: فدهشت به ومن كلامه، فقلت له: ما تريد؟ قال: أريد أن أكون مع أخوتي في المرعى وأشاركهم في الشدة والرّخاء، فقلت له: حباً وكرامةً، فلما كان من الغد دهنته وكحلته وأعطيتُه عصاةً ومزوداً (١٢٣)، وخرج مع أخوته إلى المرعى وهو كالشمس المشرقة في البروج، ولسان الحال يقول:

شعر

بأغنامه سارَ الحبيبُ إلى المرعى
فلَمْ أرى أحلى من شمائلِه وقد (١٢٥)
جميلٌ على معنى المحاسنِ وجههُ
مليحٌ مُنيرُ الوجهِ شمسُ الضحى غدثُ
أقولُ له مُذ سارَ بالسَّرجِ ماشياً
عيونُك يا داعي الحمى فتكتُ بنا
ولولاك ما سارتُ نياقٌ لطِيبَةٍ
أما والذي أبكى وأضحك والذي
لقد خاب من يسعى غلى غيرِ بابكم
وما أنتِ راعٍ (١٢٨) للمواشي وإنما
هو القصدُ لا شيءَ سواه فمَنْ سعى
عليه صلاةُ الله ثمَّ سلامُهُ كما

فيا حبذا راعٍ (١٢٤) فوادي له يرعى
تقدّم للمرعى حبيبي غدا يرعى
كأنَّ بدورَ التَّمِّ قد طُبعتْ طبعاً
له غرّةٌ والليلُ عادلهُ فرعا
وأغنامه من حوله بطلبِ المرعى
فقومٌ بها قتلى وقومٌ بها صرعى
ولا كانتُ الأملاكُ نحو السَّما تسعى
أما وأحيا والذي أخرج المرعى (١٢٦)
وضلَّ (١٢٧) الذي يوماً إلى غيركم
يسعى
تراعى الورى تبدي لها العقل
والشَّرعاً
إلى غيرِ ذاك القصدِ يا خيبة المسعى
زمزم الحادي إلى طيبة يسعى

قالتُ حليلةٌ: فلما نظروا (١٢٩) بنو سعدٍ إلى ذلك، قالوا: يا حليلةُ تُخرجين مثلَ هذا الغلامِ، وكان جلوسُهُ في خبائكِ أولى، قالتُ لهم حليلةٌ: والله ما فعلتُ ذلك إلا بأمره، وما أقدِرُ أخالفُهُ.

قالتُ حليلةٌ: فلما خرج من عندي طالباً للمرعى، وهو كبدِر التَّمامِ ينجلي بين الأغانِمِ، فجعلتُ أراقبهُ إلى أن مضى النَّهارُ وبدتُ الشَّمسُ بالأصفرارِ. خرجتُ حليلةٌ تستقبلُ النبيَّ المختارَ - i - وإذا بالرعاة (١٣٠) قد أقبلوا، وأنوارُ المصطفى تتلألأ عليهم.

قالت حليلةٌ فدنوتُ منه وسلّمتُ عليه، وقلْتُ له يا ولدي كيف كان حالُك مع إخوتك، فقال لي: خيراً كان يا أمّاهُ وأحسنُ، ثمَّ عدلتُ إلى (أخيه) (١٣١) وسألتهُ عن حاله، فقال لي ضمرةٌ: يا أمّاهُ ما مرَّ على حجرٍ ولا مدرٍ ولا شجرٍ ولا طيرٍ إلا هو يُسلِّمُ عليه، ولا مشى على يابسٍ إلا واخضرَّ في الحالِ، وكذلك الأغانِمُ إنَّ أمرها بالمسيرِ سارتُ وإنَّ أمرها بالوقوفِ وقفتُ، وأعجبُ من هذا إنّا قد أتينا إلى وادٍ (١٣٢) كثيرِ العُشبِ

فصددنا الأغنامَ عنه، فقال ما بالكم تصدّون أغنامكم عن هذا الوادي، فقلنا له: إنّ فيه وحشاً كاسراً، فقال لنا: لا تخافوا ثمّ دخلَ أماننا ونحنُ خلقُهُ، وإذا قد هجم علينا أسدٌ بأنيابِ كالمناجلِ وعيونِ كالمشاعلِ، ففرّثَ الأغنامُ منه وانهزمتْ، فنهضَ محمّدٌ i نحوَهُ، وإذا بالأسدِ وضعَ رأسَهُ بين يديه، فمسكَ بأذنيه ومكّها^(١٣٣)، وكلمه بكلامٍ لا نفهمُهُ، فولّى الأسدُ هارباً. فقلنا له ما الذي قلتَ له؟، قال: قلتُ له لا تقربْ هذا الوادي بعد اليوم فتهلك.

ثمّ جلسَ فجعلتِ الأغنامُ تلوذُ به وتتباركُ به، وإذا بشاةٍ (قد كُسِرَتْ)^(١٣٤) يدها، فمدّتْ يدها إليه، فمرّ بيده عليها، فمرّتْ تعدو كالغزالِ كأنّ لم يكن بها كسرٌ. قالتْ حليلةُ:^(١٣٥) إخوتِه كجاري عادتيه.

فلما كان وقتُ الظهر وقع الصوتُ في الحيّ، قالتْ حليلةُ: فخرجتُ كالولھانةٍ، فرأيتُ ولدي ضمّرةً صارخاً وهو يقولُ: يا أمّاه الحقي بأخي محمّدٍ فقد هلك، فخرجَ الرّجالُ بالسّيوفِ والنساءُ صارخاتٍ، وخرجَ يعلي الحارثُ^(١٣٦) يُنادي واولداهُ وا محمّدهُ تُقتلُ غريباً، وأنا في أوائلِ القومِ صارخةٌ وأقولُ: وا محمّدهُ واولداهُ حتى أتيتُ الموضعَ الذي كان فيه رسولُ الله - i -^(١٣٧) فإذا هو جالسٌ يتبسّمُ والأنوارُ تصعدُ من ثناياه إلى عنانِ السّماءِ^(١٣٨)، فلم أتمالكُ من عقلي إلى أن طرحتُ نفسي عليه وقبّلتُ بين عينيه، وقلتُ حبيبي: ما الذي نزلَ بك؟، صرفَ الله عنك السّوءَ. قال: يا أمّاه إني كنتُ جالساً مع إخوتي نأكلُ فضلةَ زادنا، وإذا أتاني رجلان بهيَّان لم أرَ أنورَ منهما، فأخذوني^(١٣٩) (من)^(١٤٠) ظهري برفقٍ، وجذبنا خنجرأً عظيماً لامعاً، يأخذُ لمعُهُ الأبصارَ، فشقّا به فؤادي وقلبي إلى جوفي، ثمّ استخرجا أحشائي وقلبي، وجعلا (-)^(١٤١)، ثمّ أخرجَ نكتةً سوداءَ فرماها في الأرضِ، وقال لي: هذا حظُّ الشيطانِ منك يا محمّد. ثمّ إنّ الآخرَ أخرجَ طشتاً^(١٤٢) من الزّبرجدِ الأخضرِ وإبريقاً^(١٤٣) من الفضةِ البيضاء، ملآن من التّلجِ، فغسلَ به قلبي وجميعَ أحشائي غسلأً ناعماً، وأنعمَ غسلهما، ثمّ ردّها إلى مكانها، ثمّ أخرجَ واحدٌ منهما خاتماً عظيماً فختَمَ به على قلبي وما شقّ من جوفي، فالتحَمَ بقدره الله تعالى، وها أنا أجدُ برودتَهُ بين أضلاعي مُقيماً.

ثمّ إنّ واحداً منهما أخذَ بيدي وقالَ لصاحبه: زنهُ بعشرٍ من أمّته فوزنني فرجحتهم، ثمّ قال: دعهُ، فلو وزنته بجميعِ أمّته لَرَجَحَهم، ثمّ ضمّوني إلى صدورهما^(١٤٤)، وقبّلا ما بين عيني وقالوا لي: يا محمّد لو علمتَ ما الله يُريدُ منك لقرّثَ عيناك، ثمّ طارا عني في الهواءِ، فصرّتُ أنظرُ إليهما حتى ولجا في السّماءِ^(١٤٥).

فقالَ زوجُ حليلةِ الحارثِ: إني أخافُ أن يكونَ قد أُصيبَ هذا الغلامُ، فألحقه بأهله. قالتْ حليلةُ: وإنّ قومي قالوا: يا حليلةُ امضِ به إلى الكاهنِ، فأتيتُ به إلى الكاهنِ. قالَ له: قصِّ عليّ القصّةَ من أوّلها إلى آخرها.

(٤٠)..... رضاعة النبي i - محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)

قالت حليمة: فلما سمع الكاهن ذلك وثب إلى رسول الله - i - (١٤٦)، وضمه إلى صدره وقال: يا للعرب من شئ قد اقترب، اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه، فإنه يسفهُ أعلامكم، ويسبُّ آلهتكم ويبيط لُدَيْتكم، ويدعوكم

إلى دين لا تعرفوه.

قالت حليلة: فلم أشعر إلا وقد أقبل رجلٌ عظيمُ الخلقة وبيده حربةٌ، فخرقَ بها صدرَ الكاهنِ فهلك هو وقومُه. قالت حليلةٌ فرجعتُ بمحمدٍ - i - (١٤٧) إلى منزلي، فبينما أنا راجعةٌ في الطريق وإذا بامرأةٍ على رأسِ بئرٍ، وهي تقول: وا ولداه، هلكتَ وليس لي من الذكور غيرك. قالت حليلةٌ: فقلتُ لها ما لك (١٤٨) يا أمةَ الله؟، قالت خرجتُ لأستقي ماءً من هذا البئرِ وولدي على كتفي، فانقلب مني في البئرِ، وقد عجزوا (١٤٩) الرجالُ والنساءُ عن إخراجِه، فقلتُ: يا محمد إن لك مُعجزةً عند ربِّك فأرنا إيَّها بأعيننا، فتقدّم النبي - i - (١٥٠) إلى جانبِ البئرِ وأشارَ باصبعِه إلى الماءِ، فتدفَّقَ الماءُ من حافاتِ البئرِ، وبان الطِفْلُ الصغيرُ على وجهِ الماءِ، ويقول: السَّلَامُ عليك يا محمد، وسمعتُ قائلاً يقول: لا تعجبوا منه كيف يُنجي الأطفالِ، بل تعجبوا منه كيف يُنجي العصاةَ من النارِ.

قالت حليلةٌ: فضمَّيتهُ إلى صدري، وقبَّلتُ ما بين عينيه، فسمعتُ قائلاً يقول: هنيئاً لك (١٥١) يا بطحاءَ مكة، اليومَ يرُدُّ عليك (١٥٢) ما أخذ منك (١٥٣).

قالت حليلةٌ: فأخذتُ محمدًا قدامي وسيرتُ حتى أتيتُ بابَ مكة، وعليه جماعةٌ مجتمعين، فوضعتُ محمدًا - i - (١٥٤)، ودخلتُ حتى أعلمُ جدَّه حتى يخرجَ يتلقاه بساداتِ العربِ، فسمعتُ هذَّةً عظيمةً، فرجعتُ فلم أره، فقلتُ: معاشرَ الناسِ أين ذهب الصَّبِي الذي كان هاهنا، قالوا: أيُّ الصَّبِيانِ تطلبين؟ فقلتُ: محمد بن (١٥٥) عبدِ المطلبِ، جئتُ لأرَّدهُ إلى جدِّه، أخُلس مني، فقالوا لي ما كان معك (١٥٦) شيءٌ، فلمَّا أيسوني منه حثَّبتُ الترابَ على رأسي، وقلتُ والله لئن لم أره لأرمين نفسي من شاهقِ هذا الجبلِ، وإذا بشيخٍ يتوكأ على عصاهُ، فقال لي مالك (١٥٧) يا سعيديَّة (١٥٨)، فقلتُ له: ضاع ولدي محمد - i - (١٥٩)، فقال لها: أنا عندي من يرُدُّه عليك (١٦٠)، ثم دخلَ على الصنمِ الكبيرِ، واسمُه (هُبَل) (١٦١)، وقبَّلَ رأسه وطافَ حوله سبعاً، وقال له يا سيدي: لم تزلَ متنتك على قريشٍ حديثاً وقديماً، وهذه السعديةُ تزعمُ أنَّ ولدها محمدًا ضاع، فلمَّا سمعَ الصنمُ بذكرِ محمدٍ - i - (١٦٢) سقطَ على وجهه وتقطَّعَ إرباً إرباً، وتساقتت الأَصنامُ التي حوله، وسمعنا قائلاً يقول: إليك عنا يا شيخُ، فإنَّ هلاكنا على يدِ هذا الغلامِ.

قالت حليلةٌ: فخرجَ الشَّيخُ وأنا أسمعُ اصطكاكَ أسنانهِ وارتعادَ ركبتيه، وألقى العكازَ من يده وهو يبكي وقائلاً يقول: معاشرَ النَّاسِ لا تضحَّجوا فإنَّ لمحمدٍ ربًّا لا يُضيعُه، ها هو في واديِ تهامةَ تحتَ شجرةِ اليمامةِ (١٦٣)، قد ظلَّتهُ الغمامةُ (١٦٤)، والحصا يُسبِّحُ بكفه - i - (١٦٥).

قالت: فخرجَ عبدُ المطلبِ نحو الوادي، فإذا هو جالسٌ، فقال له عبدُ المطلبِ: من أنت يا غلام، فقال: أنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ، ثمَّ احتمله على قربوسِ السَّرجِ ودخلَ به مكةَ، واطمأنَّ الناسُ به.

جهَّزَ عبدُ المطلبِ حليلةً أحسنَ جهازٍ، ولمَّا انصرفتُ إلى حيَّها وأنشدتُ (١٦٦) تقول:

شعر

يا الله يا الله يا الله يا الله ربنا
(—)(١٦٧) هادياً جرى
والنبيُّ المصطفى يشفع لنا
ارحموني سادتي في غربتي
لفراقِ المصطفى خير الورى
ارحموا من مات في توديعكم
ليس لي يا سادتي أن اصبراً
وانهتك من حاله ما سترأ
فغرامى بالنبيِّ اشتها
يا بني سعد اسعدوني بالبكا
كيف لي يا سادتي مُصطبراً
فرسولُ الله قد فارقتي
واخبريني كلما الريحُ سرى
أمنة لا تقطعي أخباره
أودعيها عن حبيب خبراً
من يكن في حالي قد عُذراً
حسرتي من بعدهم لا تنقضي
خُصَّ يا ربَّ النبيِّ الأزهرأ
ثمَّ قولوا كلُّكم يا حاضرين
أنفسٌ حنَّتْ إلى وادي القرى
بصلاةٍ وسلامٍ كلما

قالتُ حليلةٌ: فلما بلغَ النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم من العمر توقَّتْ أمُّه أمانةً في بلدِ بين مَكَّةَ والمدينة(١٦٨).

وكفلهُ جدُّه عبدُ المطلب، فلما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانَ سنين، توقَّى جدُّه عبد المطلب وعمُّه أبو طالب(١٦٩). فلما أكملَ عمرُهُ عشرَ سنين أتاهُ الله من الفخر والفخار والعزِّ والوقار، وإذا مشى في الهواجر تظلُّه الغمامةُ، وكان في مَكَّةَ حجراً معروفاً إذا مرَّ يُسَلَّمُ عليه، وخاطبه الأشجارُ والأحجارُ وكلمه البعيرُ، ونبع الماء من بين أصابعه(١٧٠).

قالتُ حليلةٌ: وفي العشرين كان يُرحَّبُ(١٧١) بي، وفي الثلاثين كان يتباهي بي، وفي الأربعين كان يتفاخر بي بين سادات العرب، وبعثه الله بالرسالة، وشاع ذكره في المشارق والمغرب، وكان صادقاً، واسمُهُ بين أعدائه (الصادقُ الأمين) لأمانته i - (١٧٢). وفي الخمسين كان إذا زرتهُ خلع رداءه وبسطه تحتي، ولم أزل أزوره ويزورني حتى كمل عمره ثلاث وستون سنة. ثمَّ توقَّى الله تعالى نبيُّه، وأنشد في المعنى يقول:

شعر

في كلِّ عامٍ لنا في سيِّدِ البشر
بشارةٌ قرنتُ بالخيرِ والظفر
هذا يتيمٌ فقيرٌ زانهُ شرفٌ
من أجله تُكرمُ الأيتامُ والفقرا
هذا النبيُّ الذي لولا جلالتهُ
لم يخلقِ اللهُ لا جنًّا ولا بشرا
يا مَنْ تشرَّفْتُ الدُّنيا بطلعهِ
كما تباشِرَ وجهُ الأرضِ بالمطرا
هذا النبيُّ الذي من زارَ تربتهُ
نالَ الهنا والمنى والسؤلَ والوطرا
صلى عليك اللهُ يا علمَ الهدى
ما حنَّتْ الرِّكابُ إلى وادي القرى

واعلم يا أخي أنَّ الصلاةَ على النبيِّ - i - (١٧٣) أفضلُ من عتقِ الرِّقابِ.
وهذا ما انتهى إلينا من رضاعه صلى اللهُ عليه وآله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث

- (١) يُنظر: الأنساب ٢٧١/١٣.
- (٢) يُنظر: الوافي بالوفيات ٢٣٨/٤، النجوم الزاهرة ١٨٤/٢.
- (٣) يُنظر: وفيات الأعيان ٣٥٠/٤.
- (٤) يُنظر الأغانى: ٣٣٤/٨.
- (٥) يُنظر: طبقات الأسماء ١٢٩.
- (٦) تاريخ بغداد ٥/٤.
- (٧) تاريخ بغداد ٤/٣.
- (٨) الطبقات الكبرى ٣١٥/٥، ويُنظر مغازي الواقدي / مقدّمة التحقيق ٧.
- (٩) يُنظر: أخبار القضاة ٢٧٠/٣.
- (١٠) يُنظر: الطبقات الكبرى ٣٣٨/٩.
- (١١) يُنظر: التاريخ الأوسط ٣١١/٢.
- (١٢) يُنظر: وفيات الأعيان ٣٥٠/٤.
- (١٣) يُنظر: تاريخ بغداد ٢١٣/٣.
- (١٤) يُنظر: تاريخ بغداد ٢١٣/٣.
- (١٥) يُنظر: م. ن.
- (١٦) يُنظر: الفهرست ١٢٨.
- (١٧) عيون الأثر ١٨/١. ويُنظر أيضاً مقدّمة تحقيق كتاب مغازي الواقدي ٦.
- (١٨) يُنظر: الطبقات الكبرى ٣١٥/٥.
- (١٩) يُنظر: الفهرست ١٢٨.
- (٢٠) الرياح الحارة.
- (٢١) جمع هاجرة، وهي شدة الحرّ.
- (٢٢) في الأصل (عليكي) وهو تحريف.
- (٢٣) في الأصل (عنكي) وهو تحريف.
- (٢٤) هي إلحاق علامة التنبيه والجمع بالفعل المسند إلى الاسم الظاهر المثني والمجموع، وقد وضع لها النحويين توجيهاتٍ مستمدة من لغة العرب والقرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلى الرغم من أنّ بعض العلماء ضعفها، فإنّ البعض الآخر قوّاها، ولهذه اللغة شواهد كثيرة جداً مما يدلُّ على أنّ هذه اللغة ليست مهجورةً ولا بعيدةً عن الفصاحة. ينظر: بحث في هذه اللغة للدكتور محمد أحمد الدالي بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٨، ج ٣، سنة ١٩٩١م، ففيه تفصيل نافع لها.
- (٢٥) قال تعالى: لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ [آل عمران ١١٣، وَحَسْبُوا إِلَّا تَكُونُ فِئْتَةٌ فَعْمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ] المائدة ٧١. ويُنظر عن ذلك: مجاز القرآن ١٧٤/١، كتاب سيبويه ٧٨/١٩، ١/١.

(٢٦) قال رسول الله - i -: ((يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ)). يُنظر: موطأ مالك ١٧٠/١.

(٢٧) عند سيبويه جعلوا الواو في: أكلوني علامة تؤذن بالجماعة، وليست ضميراً. وفي هذه اللغة ثلاثة أوجه: أحدهما: ما قال سيبويه، والثاني: أن تكون (البراغيث) مبتدأ، و(أكلوني) خبراً مقدماً، تقديره البراغيث أكلوني، والوجه الثالث: أن تكون الواو في (أكلوني) ضميراً على شرط التفسير، والبراغيث: بدل منه، كقولك: ضربوني وضربت قومك، فتضمير قبل الذكر على شرط التفسير. وقد كان الوجه في: أكلوني البراغيث على تقديم علامة الجماعة، أن يقال: (أكلتني البراغيث)؛ لأن (البراغيث) مما لا يعقل، وما لا يعقل جمعه، وضمير جمعه كالمؤنث، وإن كان مذكراً. ينظر: شرح كتاب سيبويه ١٥٤/١.

(٢٨) النقا: بالفتح والتخفيف مقصور، ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السفيا المعروفة ببئر الأعجام، قال المطري: النقا المذكور في الأشعار غربي المصلى إلى منزلة الحاج غربي وادي بطحان، والوادي يفصل بين المصلى والنقا، ينظر: مسالك الأبصار ٤٣٦/١٢ وفاء الوفا ١٥٧/٤.

(٢٩) قُباء: بضم أوله، ممدود، على وزن فعال؛ من العرب من يذكره ويصرفه، ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه، وهو الموضع الذي استقر به النبي i حينما جاء إلى المدينة مهاجراً، فنزل على بني عمرو بن عوف، وهذا المسجد ذكره الله تعالى في قوله [لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى النَّفْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا لِلَّهِ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ] التوبة ١٠٨. سيرة ابن هشام ٤٩٢/١، معجم ما استعجم ١٠٤٥/٣، الروض الأنف ١٥١/٤.

(٣٠) المحصب: بالضم ثم الفتح، وصاد مهملة مشددة، اسم المفعول من الحصباء أو الحصب وهو الرمي بالحصى وهي صغار الحصى وكباره: وهو موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة، وهو خيف بني كنانة وحدّه من الحجون ذاهبا إلى منى، وقال الأصمعي: حدّه ما بين شعب عمرو إلى شعب بني كنانة وهذا من الحصباء التي في أرضه، والمحصب أيضاً: موضع رمي الجمار بمنى وهذا من رمي الحصباء. ينظر: جوامع السيرة ٢٣١، دلائل النبوة (البيهقي) ٤٥٢/٥، معجم البلدان ٦٢/٥.

(٣١) يوسف المذكور في البيت هو النبي يوسف بن يعقوب عليه السلام -.

(٣٢) أمنة بنت وهب، أم النبي i. واسمها ممنوع من الصرف، ولكن الضرورة الشعرية أوجبت صرفه.

(٣٣) روي أن رسول الله i ولد مختوناً مسروراً - يعني: مقطوع السرة، ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ٥٨/١، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٥٩/١، عيون الاثر ٣٧/١.

(٣٤) العقيق: بفتح أوله، وكسر ثانيه، على وزن فعيل، موضع بالمدينة. ذكر أن تبعاً من بهذا الموضع لما قدم المدينة فقال: هذا عقيق الأرض، فسّمى العقيق. وروي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً إلى العقيق ثم رجع فقال: يا عائشة جئنا من هذا العقيق، فما ألين موطنه وأعذب ماءه! قالت: يا رسول الله أفلا ننقل إليه؟ قال: وكيف ذلك وقد أتانا الناس. ينظر: المسالك والممالك ٤١٨/١، معجم ما استعجم ٩٥٢/٣.

(٣٥) جاء في المصنّف ٧/٦ قولٌ لأمّ النبي - i - قريبٌ من هذا وهو: ((..... وَوَقَدْ وَوَدَّعْتُهُ حِينَ وَوَدَّعْتُهُ، فَحَرَّ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ)).

(٣٦) كلُّ شيء أرسَلته من علوّ، حدّته تحديراً، ولعلّ المراد هنا، أنّها زجّتُهُ من أعلى الجسم إلى أسفله. ينظر عن (حدر): لسان العرب (حدر).

(٣٧) في الأصل تَكَرَّرت (مقراً) وتكرارها زيادة لا ينتفع بها السّياق.

- (٣٨) اقتباس من قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا] النساء ٣٤.
(٣٩) الأحزاب / ٤٥ - ٤٨.
- (٤٠) يُنظر الخبر في سيرة ابن هشام ١/١٥٣.
- (٤١) السَّبْعُ المِثْنِي: هي فاتحة الكتاب. يُنظر: تفسير الطبري ١٣٤/١٧، تفسير الثعلبي ٨٩/١، تفسير البغوي ٦٤/٢.
- (٤٢) اقتباس من قوله تعالى: [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا] الملك ٣، ومن قوله تعالى: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] الرعد ٢.
- (٤٣) اقتباس من قوله تعالى: [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا] النبأ ٦، ومن قوله تعالى: [وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحَاهَا] النازعات ٣٠.
- (٤٤) اقتباس من قوله تعالى: [إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا] فاطر ٢٤، وقوله تعالى: [وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا] الأحزاب ٤٦.
- (٤٥) في الأصل (احتشام) وهو تحريف، لأنَّ السياق يوجبُ النصب، ونرجحُ أنَّ الناسخ كان يُراعي انتظام السجع في الجمل، فتعاقَلَ عن ذلك.
- (٤٦) الرواية الثانية تقول: [إِنَّ النَّبِيَّ - i - وُلِدَ يَوْمَ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ]. ينظر: رسائل المرتضى ٥٩/٣.
- (٤٧) قال النبيُّ z: ((أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، واسترضعت في سعد ابن بكر)). ينظر: زهر الآداب ٥٩/١، سرّ الفصاحة ٥٩، نهاية الإرب في فنون الأدب ١٢١/٧.
- (٤٨) الملاح: لعل المراد هنا: الرِّياض.
- (٤٩) الفصاح: من الفصاحة. ينظر: تاج العروس (خسس).
- (٥٠) هو جبل الصفا الذي يبدأ السعي منه، وهو المذكورُ في قوله تعالى: [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ] البقرة ١٥٨.
- (٥١) يُنظر: قريب من هذا في: سيرة ابن اسحق ٤٥.
- (٥٢) هذا ما أخبر به عيسى بن مريم في قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ] الصف ٦.
- (٥٣) جاء في سيرة ابن إسحق ٤٥: (... واسمه في الفرقان محمد فسميه بذلك).
- (٥٤) جاء في سيرة ابن إسحق ٤٥ أشطراً من الرِّجَز أولها:
- أعيذُ بالواحد من شر كل حاسد
- (٥٥) الكؤسُ هنا الكؤوس، وتصرف بها هكذا للضرورة الشعرية.
- (٥٦) القُمْرِيُّ: طائرٌ يُشبهه الحَمَام، مَرِيَّةٌ ضَرْبٌ مِنَ الحَمَام، والقُمْرِيُّ مُنْسُوبٌ إِلَى طَيْرِ قُمْرٍ. يُنظر: لسان العرب (قمر).
- (٥٧) أضفنا هذه العبارةَ لأنَّ الأبيات التي تليها تختلف عن الأبيات التي سبقتها. وطريقته كما رأينا وسنرى أنَّه يضع كلمة (شعر) قبل النصوص الشعرية.

- (٥٨) المعصَّر: المصبوغ بالصففر، وهو صبغ معروف، يُقال: عصفت الثوب فتعصفر، وقد ورد أن ليس المعصفر فيه كراهة، يُنظر: النهاية في غريب الحديث ١٩٩.
- (٥٩) المراد بهذا قوله تعالى: [إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ] الكوثر ١.
- (٦٠) ماس يميم: إذا تبختر بمشيئه. ينظر: لسان العرب (ميس).
- (٦١) النضارة: حسن الوجه والبريق. ينظر: لسان العرب (نضر).
- (٦٢) يُنظر: دلائل النبوة (البيهقي) ١/١٨، البداية والنهاية ٦/٢٩٨.
- (٦٣) يُنظر: أعلام النبوة ١٨٢، المقتفى من سيرة المصطفى ٣٤.
- (٦٤) في الاصل (خاضع) وهو تحريف على وفق ما يوجبُه السياق، ولعلَّ هذا أت من خضوع الناسخ لسجع النص كما أشرنا في موضع سابق.
- (٦٥) (قال) هنا تعني أن ثمة شخصاً يروي الحوادث، ولكننا لم نلتق بهذا الراوي إلا في هذا الموضع وما بعده.
- (٦٦) جاءت بريرة هنا من البر، والعرب سمّت المرأة بـ(بريرة)، ولكنها لم تستعمل هذه اللفظة بهذه الدلالة في حدود ما وقفنا عليه من المعاجم العربية. يُنظر: لسان العرب تاج العروس (برر).
- (٦٧) هذه الجملة: (فلما سمعت وصغيث لما أمرت) ظلت بلا جواب، إذ جاء بعدها بجملة اعتراضية، وبعد أن أتمتها، انتقل إلى جملة أخرى، فظلت قول آمنة بلا جواب.
- (٦٨) يُنظر وصف حليلة السعدية لأحبالها وحال قومها بما كانوا عليه من الفاقة والفقر في سيرة ابن إسحق ٤٩ وما بعدها.
- (٦٩) لعلَّ هذا القول من المصنّف أو الناسخ، لأنه يتكرّر في أكثر من موطن، ويبدو من السياق - أيضاً - أن لا صلة له بقول الهاتف.
- (٧٠) في الأصل (ذي)، والسياق يقتضي أن يكون (ذا) اسم إشارة وليس اسماً من الأسماء الستة حتى يُجرّ بالياء كما ظنَّ الناسخ.
- (٧١) في البيئ (إقواء)، وهو تغير حركة حرف الرّوي من الكسر إلى الضم، ولكنَّ المصنّف أو الناسخ كتبها على النحو الذي أثبتناه، وربما في ذهنه شيء من توجيه نحوي، وإن كان فهو بعيد تماماً.
- (٧٢) وهذا البيئ فيه إقواء أيضاً.
- (٧٣) في الأصل (وعاودن) والسياق يقتضي ما أثبتناه، لأنَّ المعنى يكون هكذا: وعاود الهاتف قول الأبيات.
- (٧٤) لم أقف على ترجمة وافية له سوى أنه ضمرة بن الحارث كما يرد في الصفحات الآتية.
- (٧٥) الذفر: شدة ذكاء الريح. ينظر: لسان العرب (ذفر).
- (٧٦) الأبطحي: نسبة إلى الأبطح وهو مسيل فيه دقاق الحصى، والمراد هنا أبطح مكة. ينظر: ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب ٥٤.
- (٧٧) لبينة: ذات لبن كثير.
- (٧٨) الأتان: الحمارة، والجمع أتن، ولا تلحقها تاء، ولكنَّ الناسخ ألحق بها التاء ظناً منه أنها تُشبهه (حمارة) التي تلحقها التاء كما هو المعهود في اللغة.

(٧٩) الحَضْحَضَةُ: أصلها من حَاَضَ يَحُوْضُ لَا مِنْ حَضَّ يَحْضُ. يُقَالُ: حَضَّضْتُ دَلْوِي فِي الْمَاءِ حَضَّضَةً... وَالْحَضْحَضَةُ: تَحْرِيكُ الْمَاءِ وَتَحْوِهِ. وَحَضَّضَ الْمَاءَ وَتَحْوَهُ: حَرَّكَهُ، حَضَّضْتُهُ فَتَحَضَّضَ. ينظر: لسان العرب (خضض).

(٨٠) كناية عن ضعفها وهزلها.

(٨١) الجادة: الطريق.

(٨٢) النخلة السُّحوق: النخلة الطويلة التي يبعد ثمرها عن المجني، والمراد هنا الطول غير المألوف في بني الإنسان.

(٨٣) في الأصل (بطلعته)، والسياق يحتمُّ أن تكون الباء زائدة، لأنَّ (طلعته) فاعل لأنارت، ولا معنى للباء معها، إلا إذا حُذِفَت التاء من أنارت.

(٨٤) في الأصل (محمّد) وهو تحريف.

(٨٥) جاء في سيرة ابن اسحق ٤٥ عن وفاة عبد الله بن عبد المطلب: ((وقد هلك أبوه عبد الله وهي حبلتي، ويقال أن عبد الله هلك والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمانية وعشرين شهراً، فالله أعلم أي ذلك كان)).

(٨٦) يُنظر هذا الجزء من خبر رضاعة النبي i - في سيرة ابن إسحق ٤٩.

(٨٧) الرفد: العطاء.

(٨٨) هذه الكلمة أضعفناها لأنَّ المعنى لا يستقيم إلا بها، والراجح أنها سقطت من الناسخ.

(٨٩) بالفتح ثم الكسر: بمكة، وهو ما بين المقام إلى الباب، وقيل: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقيل: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء، كانت الجاهلية تتحالف هناك يتحطمون بالأيمان، فكَلَّ من دعا على ظالم وحلف إثماً عجلت عقوبته، وقيل: الحطيم الجدر بمعنى جدار الكعبة، وقيل: حجر مكة يقال له الحطيم مما يلي الميزاب، وقيل: الحطيم الذي فيه الميزاب، وإنما سُمِّي حطيماً لأنَّ البيت رُبِعَ وترك محطوماً. ينظر: معجم البلدان ٢٧٣/٢، مرصد الأطلال ٤١١/١.

(٩٠) في الأصل (إلا هو) وهو تصحيف.

(٩١) العُرف: الرائحة الطيبة.

(٩٢) شطر البيت مكسور عروضيّاً.

(٩٣) في الأصل (فدخلت)، والنصُّ مع الفاء لا يستقيم.

(٩٤) في الاصل (تعني) وهو تحريف.

(٩٥) لعلَّ المؤلّف في هذه الصورة كان ينظرُ إلى ما ورد في خبر إبراهيم الخليل a حينما ولدته أمّه في المغارة، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ((ثم سدّت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها وكانت تظالعه في المغارة لتتظر ما فعل، فنجده حياً يمص أصابعه جعل الله له رزقاً فيها)). ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٠٨٠/٣.

(٩٦) عليه سرادق، والسرادق: كلُّ ما أحاطَ بالشيء من حائطٍ أو خباءٍ. يُنظر: لسان العرب (سردق).

(٩٧) هذا قريبٌ تماماً من وصف ورد في نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ٥٢/١ جاء فيه: ((وأعطته ثديها الأيمن قبله، وحوّلتها إلى الأيسر فأبى؛ لأن الله ألهمه العدل وأعلمه أن له شريكا هو ابنها فترك له ثديها الأيسر)).

(٩٨) وجالك: وجاءك.

- (٩٩) جعل المكارم رداءً له.
- (١٠٠) خديمة: خادمة.
- (١٠١) هذا الكلام على لغة (أكلوني البراغيث). ينظر عن هذه اللغة: الأصول في النحو ٧٢/١.
- (١٠٢) في الأصل (حُضِن) وهو تحريفٌ.
- (١٠٣) في الأصل (حُضِن) أيضاً، وهو تحريفٌ.
- (١٠٤) وهنا لغة أكلوني البراغيث أيضاً.
- (١٠٥) في الأصل (أَتَانَتَكِي) بالياء، وهو تحريفٌ.
- (١٠٦) هنا لغة (أكلوني البراغيث).
- (١٠٧) في الأصل (صلعم).
- (١٠٨) في الأصل (صلعم).
- (١٠٩) في الأصل (أَشْر) وهو تحريفٌ.
- (١١٠) هذه لغة أكلوني البراغيث.
- (١١١) في الأصل: (صلعم).
- (١١٢) الفاء في هذه الكلمة زائدة.
- (١١٣) هذه أيضاً لغة أكلوني البراغيث.
- (١١٤) في الأصل (صلعم).
- (١١٥) في الأصل (صلعم).
- (١١٦) لعلّ (التَّرْحَات) هنا جمع (ترحة) وهي نقيض الفرح، ولم أقف على هذا الجمع فيما رجعت إليه من معاجم اللغة.
- (١١٧) في الأصل (صلعم).
- (١١٨) في الأصل (صلعم).
- (١١٩) الرياح الحارة.
- (١٢٠) جمع هاجرة، وهي شدة الحرّ.
- (١٢١) في الأصل (عليكي) وهو تحريفٌ.
- (١٢٢) في الأصل (عنكي) وهو تحريفٌ.
- (١٢٣) المزود: ما يُحملُ فيه الزاد. يُنظر: لسان العرب (زود).
- (١٢٤) في الأصل (راعي) وهو تحريفٌ.
- (١٢٥) صدر البيت فيه خللٌ عروضي.
- (١٢٦) اقتباس من قوله تعالى: [وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا] النجم / ٤٣-٤٤، ومن قوله تعالى: [وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى] الأعلى ٤
- (١٢٧) في الأصل (ظلل) وهو تصحيف.
- (١٢٨) في الأصل (راعي)، وهو اسمٌ منقوصٌ تُحذفُ ياءه في حالتي الرّفْعِ والجرِّ كما هو معهودٌ.
- (١٢٩) على لغة أكلوني البراغيث.

- (١٣٠) في الأصل (بالرعات) وهو تصحيفٌ.
- (١٣١) في الأصل (أخوته) والسياق يوجب ما أثبتناه. وإما أن تبقى (أخوته) على حالها وتُغَيَّرُ (وسألته) إلى (وسألتهم).
- (١٣٢) في الأصل (وادي)، وهو تحريفٌ.
- (١٣٣) معكها: ذلكها.
- (١٣٤) الكلمة غير واضحة، ورجحنا ما يوجبُه السِّياقُ.
- (١٣٥) هنا أربع كلمات مطموسة، لم نستطع أن ننتبينها بشكلٍ يوقِّرُ الاطمئنان الذي نريده، ولكننا استناداً إلى ما بقي من معالم بعض الحروف، وما يُقدِّمه السِّياقُ، نرجِّحُ أن النَّصَّ هو: ((وأما ما كان من شأنه مع))، وبهذا يستقيم المعنى الذي يُقدِّمه السِّياقُ كما يبدو الآن بعد جمع ما أثبتناه بالهامش مع بقية النَّصِّ في المتن.
- (١٣٦) هو الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، زوج حليلة السعدية.
- (١٣٧) في الأصل ((صلعم)).
- (١٣٨) جاء في أعلام النبوة ٢١١ عن هذه الجزئية ما يأتي على لسان حليلة: ((فخرجت أنا وأبوه فوجدناه قائماً قد انتقع لونه فلما رأنا أجهش إلينا باكياً قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له ما لك فقال: جاءني رجلان....)).
- (١٣٩) السياق يقتضي (فأخذاني).
- (١٤٠) (من) أضفناها ليستقيم الكلامُ.
- (١٤١) هنا كلمتان مطموستان. ولكن المعنى بقي متماسكاً كما يبدو.
- (١٤٢) في الأصل (طشت) وهو تحريفٌ.
- (١٤٣) في الأصل (وإبريق) بتنوين الكسر، وهو تصحيفٌ.
- (١٤٤) السياق يقتضي أن تكون (صدريهما)، لأنَّ الإشارةَ تخصُّ اثنين من الملائكة يتحدَّثُ عنهم النبيُّ - i -
- (١٤٥) جاء في سيرة ابن إسحق ٤٩: أنَّ ضمرة بن حليلة جاء يشند، ((فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشند نحوه، فنجده قائماً، منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان)).
- (١٤٦) في الأصل (صلعم).
- (١٤٧) في الأصل (صلعم).
- (١٤٨) في الأصل (ما لكي) وهو تحريفٌ.
- (١٤٩) هنا لغة (أكلوني البراغيث).
- (١٥٠) في الأصل (صلعم).
- (١٥١) في الأصل (لكي) وهو تحريفٌ.
- (١٥٢) في الأصل (عليكي) وهو تحريفٌ.
- (١٥٣) في الأصل (منكي) وهو تحريفٌ.

- (١٥٤) في الأصل (صلعم).
- (١٥٥) في الأصل (ابن) وهو تحريف.
- (١٥٦) في الأصل (معكي) وهو تحريف.
- (١٥٧) في الأصل (مالكي) وهو تحريف.
- (١٥٨) نسبها إلى قبيلتها بني سعد.
- (١٥٩) في الأصل (صلعم).
- (١٦٠) في الأصل (عليكي) وهو تحريف.
- (١٦١) كان (هيل) عظيم أصنام قريش بمكة، وكان على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكانت قريش تستقسم عنده بالأزلام، واستقسم عنده عبد المطلب في قصة فداء ابنه عبد الله أب النبي - i -. ينظر: سيرة ابن اسحق ٣٣، سيرة ابن هشام ٧٧/١، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ٥٣/١، الروض الأنف ٢١٠/١.
- (١٦٢) في الأصل (صلعم) وهو تحريف.
- (١٦٣) لعل المراد بشجرة (المامة) هنا، الشجرة التي يأوي إليها حمام الحرم، إذا أخذنا بالمعنى الذي يذهب إلى أن (المام) هو الذي يَألف البيوت. ينظر: لسان العرب (يمم).
- (١٦٤) ثمّة قصة مشهورة للغمامة التي ظلت النبي - i - جاءت في كتب السيرة والتاريخ، وتتلخص في أن النبي - i - كان مع ركب قريش في تجارة إلى الشام، ونزلوا بصرى من أرض الشام، وبها زاهب يُقال له: بجيراء في صومعة له، فصنع لهم طعامًا كثيرًا، بعد أن رأى غمامة بيضاء تُظلل النبي - i - من بين القوم. ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبًا منه، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة وشمرت أغصان الشجرة على رسول الله، i، حتى استظل تحتها. ينظر تفاصيل ذلك في: دلائل النبوة ٢٧/٢، الروض الأنف ١٤١/٢، عيون الأثر ١٠/١، سيرة ابن كثير ٢٤٤/١، المفتى من سيرة المصطفى ٤٠.
- (١٦٥) يُنظر: إمتاع الأسماع ٧٨/٥، بهجة المحافل ٢٤٠/٢، سبل الهدى والرشاد ٣٧/١.
- (١٦٦) السياق يقتضي أن تكون (وأشدت) (أشدت) بلا واو.
- (١٦٧) كلمات مطموسة لم أستبينها.
- (١٦٨) جاء في سيرة ابن هشام ١٦٨/١: ((أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَهُ تُوفِيَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَحْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، تَزِيرُهُ إِيَّاهُمْ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِهِ إِلَى مَكَّةَ)). أما الخولة المشار إليها في النص، فهي تذكيرٌ بسلمى بنت عمرو النجارية أم عبد المطلب بن هاشم. ينظر: المنمق في أخبار قريش ٨٤، الكامل في التاريخ ٥٨٨/١.
- (١٦٩) جاء في تاريخ الطبري ١٦٦/٢، أن عبد المطلب توفي وعمر النبي i عشر سنين، وينظر المزيد عن تاريخ الوفاة: التنبيه والإشراف ١٩٧، البدء والتاريخ ١١٦/٤.
- (١٧٠) في الأصل (صلعم).
- (١٧١) في الأصل (يترحب) وهو تحريف.
- (١٧٢) في الأصل (صلعم).
- (١٧٣) في الأصل (صلعم).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. أخبار القضاة، وكيع (أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيِّ البَغْدَادِيِّ ت٣٠٦هـ) صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م.
 ٢. الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ت٣١٦هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
 ٣. أعلام النبوة، الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت٤٥٠هـ)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط١ ١٤٠٩ هـ.
 ٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني
 ٥. إمتاع الأسماع ما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقرئزي (أحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
 ٦. الأنساب، السمعاني (أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت٥٦٢هـ)، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وصاحبا، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، ط١ (١٣٨٢ هـ، ١٩٦٢م).
 ٧. البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي (ت نحو ٣٥٥هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.
 ٨. البداية والنهاية، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ت٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
 ٩. البداية والنهاية، لأبن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٤٧هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ، بيروت - لبنان.
 ١٠. بهجة المحافل وبغية الأمائل في تلخيص المعجزات والسير والشمال، يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرصي (ت٨٩٣هـ)، دار صادر، د.ب.ت.
 ١١. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
 ١٢. التاريخ الأوسط، البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت٢٥٦هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
 ١٣. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ت٣١٠هـ)، دار التراث - بيروت، ط٢، ١٣٨٧ هـ.

١٤. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت ٤٦٣هـ)، تحقيق د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٥. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط٤.

١٦. تفسير الثعلبي، الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق) (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٧. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. التنبية والإشراف، المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت ٣٤٦هـ)، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي - القاهرة. د. ت.

١٩. جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ت ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار المعارف - مصر، ١٩٠٠ م.

٢٠. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردي الخراساني) (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢١. ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، الأزهرى (شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم، ت ١٠٨٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، ١٤٢٢هـ - ٢٠١١ م.

٢٢. رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت ٤٢٦هـ)، تحقيق السيد مهدي رجائي، دار القرآن، مطبعة سيد الشهداء، ١٤٠٥هـ.

٢٣. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد) (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٤. زهر الأدب وثمر الألباب، الحصري القيرواني (إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري ت ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت.

٢٥. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

٢٦. سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٧. السيرة النبوية، ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري) (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الثلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

٢٨. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني ت ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢٩. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، البستي (محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي ت ٣٥٤هـ)، صحَّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية - بيروت، ١٤١٧ هـ.

٣٠. شرح كتاب سيبويه، السيرافي (أبو سعيد لحسن بن عبد الله بن المرزبان ت ٤٦٨هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدي و علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.

٣١. الشفا بتعريف حُقُوق المُصنَّف، القاضي عياض (أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٢. طبقات الأسماء المفردة من الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، البرديجي (أبو بكر أحمد بن هارون بن روح ٣٠١هـ)، حققته وقدمت له: سكينه الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١ ١٩٨٧ م.

٣٣. الطبقات الكبرى، ابان سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي ت ٢٣٠هـ)، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٤. عيون الأثر، ابن سيد الناس ت ٧٣٤ هـ، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٣٥. الفصول في السيرة، ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤هـ) تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣هـ.

٣٦. الفهرست، ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي ت ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧م.

٣٧. الكامل في التاريخ، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٨. الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٣٩. لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٤٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة عمر بن المثنى التيمي البصري ت ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة: ١٣٨١ هـ.

٤١. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، القطيعي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٤٢. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.

٤٣. المسالك والممالك، ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت نحو ٢٨٠هـ)، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩ م.
٤٤. المصنف، الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٣ م.
٤٥. معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م.
٤٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٤٧. المغازي، الواقي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.
٤٨. المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، الحلبي (الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي ت ٧٧٩هـ، المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة - مصر، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م
٤٩. المقتفى من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، بدر الدين الحلبي (الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب ت ٧٧٩هـ)، المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة - مصر، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م،
٥٠. المنمق في أخبار قريش، ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي ت ٢٤٥هـ)، لمحقق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥١. الموطأ، مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، حققه وعلق عليه: د بشار عواد معروف - محمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٥٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله ت ٨٧٤هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
٥٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ط ١٤٢٣ هـ.
٥٤. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة الطهطاوي ت ١٢٩٠هـ)، دار الذخائر - القاهرة، ١٤١٩ هـ.
٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (مجد الدين بن محمد الجزري ت ٥٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٣ م.
٥٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوش بن محمد بن مختار القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٥٦) رضاعة النبي i - محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)

٥٧. الوافي بالوفيات، الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٥٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي (علي بن عبد الله بن أحمد الحسن الشافعي، ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٩هـ.
٥٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ت ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٠٠م.